كان ميعادَنا خرُو جُ زِيادٍ ، وقَدْ خَرَجْ
أنتِ من قَتْل عائذيـــــكِ فى أضْيَق الحرَجْ !!

وزياد هذا الذى أشار اليه ، هو زياد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفىّ وكان يتعشق امرأة أبيه [1] ، بانة بنت أبى العاص ، وولدت من عبد الوهاب أبا العاص وزيادا ، وعثمان ، وعبد المجيد صاحب بن مناذر الشاعر الذى رثاه بعد موته بقوله من قصيدة فى رثائه :

إن عبدَ المجيد يَوْمَ تَولّى هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدودِ
مَا دَرَى نَعْشُه وَلا حَامِلُوهُ ما على النَّعْشِ من عَفَافٍ وجُودِ !!

شهدت جنان عرساً فى جِوار أبى نواس ، فانصرفت منه وهو جالس ، فلما رآها امتقع لونه ، وقال :

شَهِدتْ جَلْوة العَروس جنَانٌ فاسْتَمالتْ بحسْنِها النَّظَّارَهْ
حَسِبُوها العروس حين رَأَوْها فاليْها دُونَ العَرُوس الاشارهْ
قال أهلُ العروس حين رَأَوْها : ما دهانا بها سِوَى عَمارَهْ

وعمارة هذه مولاة جنان ، وهى زوجة عبد الرحمن الثقفى . فلما قال أبونواس هذه الأبيات ، قالت له جنان : كانك كنت معنا ، هكذا كانت والله الصّفة

---

(١) كذا فى الاصل ، ولعل هنـــا سقطا من الناسخ ، والا فعبارة الكتاب مضطربة فاسدة . قال فى الاغانى : وكان لعبد الوهاب ابن يقال له : محمد كان أسن ولده ، ويقال : انه كان يتعشق بانة ابنة أبى العاص ، امرأة أبيه ، وأن زيادا بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى منه ، وكان أشبه الناس به

وكان أبو نواس على شَغَفه بجنان وصِدْقه فى حُبّها ، دون من كان يشَبّبُ به من النساء ، لم تكن تحبه . فما عاتبها به حتى اُستمالها بصحة حبه لها ، فصارت تحبه بعد نُبوّها عنه ، قوله :

جِنَانُ إن جُدتِ يامُنَاىَ بما ... آمُلُ لم تَقطرِ السَّماءُ دَمَا

وإن تُمارِين أو تَمادَيتِ فى ... مَنْعِكِ أُصْبِحْ بقَفْرةٍ رِمَمَا

عَلِقتُ من لو أتى على أنْفُس الـ ... ماضِينَ والغابِرِينَ ما نَدِمَا

لو نَظرتْ عينهُ الى حَجَرٍ ... وَلَّد فيه فُتُورُها سَقَمَا

قال الجماز : كنت جالساً عنـد أبى نواس ، اذ مرّت بنا امرأة ممن تداخل الثّقفيين ، فسألها عن جنان ، وألحف فى المسئلة واستقصى . فأخبرته خبرها ، وقالت : قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم أنى أسمع : ويحك ! قد آذانى هذا الفتى وأبرمنى ، وضيق علىّ الطرق بحدّة نظره ، وتهتكه . ومن كثرة فعله لذلك قد لهج قلبى بذكره والفكرة فيه ، حتى رحمته . ثم التفتت فرأتنى ، فأمسكت عن الكلام فسرّ أبو نواس بذلك . ولما قامت المرأة أنشأ يقول :

ياذا الذى عن جِنانٍ ظَلَّ يخبرنى :

بالله قُلْ وأعِدْ يا طَيبَ الخَبَر

قال : اشْتَكَتْكَ وقالت : ما بليتُ به

أراه من حَيْثُما أقبلتُ فى أثَرِى

ويُعْمِلُ الطّرْفَ نَحْوى إن مَرَرتُ به

حتّى يُخَجِّلُنى من حِدَّة النّظَرِ

وإن وقفتُ له كَيْما يكلّمنى

فى المَوْضع الخَلِى لم يَنْطِق من الحَصَرِ

ما زال يفعلُ بى هذا ويُدْمِنُه

حتّى لقد صار من همّى ومن وَطَرى

إنصرف محمد بن حفص بن عمر التميمىّ، وهو أبو ابن عائشة، وكان يتولى القضاء، فانصرف من المسجد، فرأى فيما بين دار أبان، ودار حُمران، بالبصرة فتى لَبقاً، دمِثاً، حَسن الثياب، وعلى رأسه قَلنسُوةٌ مُضَرية، واقفاً مع امرأة يكلمها. قال: فدنوت منه وقلت له: ياهذا، ان كانت هذه المرأة منك بسَبب، فقد عرضتها للتهمَة، ووقفتها موْقف سُوء. وان كانت غريبة عنك فحقيق عليك اتقاء الله، وأن لاترضى لغيرك الا بما رضيته لنفسك. فالتفت إلىّ وقال لى: القول ماقلت، وأنا قابل نصيحتك وغير عائد ان شاء الله تعالى. فوليت وأنا مفكر فى أمره، فلا أدرى: أأستحسن سُرعة جوابه، أم حسن مراجعته اياى بقلة الخلاف، أم ظَرْف لسانه؟ فدخلت المسجد الجامع وجلست ساعة، فلم أشعر الا برقعة قد رفعها الىّ غلام [1] واذا فيها يقول لك أبو نواس:

إنّ التى أبصرتَها سَحَراً تُكلّمنى رَسولُ

لَيسَتْ هى القَصْدُ الذى يُومى اليه ولا السَّبيلُ

أدّت الىَّ رسالةً كادَت لها نَفْسى تَسيلُ

---

(١) وفى الاغانى أن أبا نواس سلم الرقعة الى ابن عائشة وقال له: ادفعها الى أبيك فأوصلها اليه، ووضعها بين يديه، فلما قرأها ضحك وقال: ان كانت رسولا فلابأس. ثم قال له: قل له: انى لا أتعرض بعدها للشعراء

من ساحِرِ العَيْنَين يجـ ـذِبُ خَصْرَهُ رِدْفٌ ثَقيلُ
مُتَقَلِّد قَوْسَ الصِّبا يَرمِى وليس له رَسيلُ
فَلَوَانَّ أُذْنَك بيننا حتَّى تَسَمَّعَ ما نَقولُ
لرأيت ما اُسْتقبحتَه من أمْرِنا، وهو الجَميلُ
وعلمتَ أنّى فى نَعيـــــمٍ لايَحولُ ولا يَزولُ

فلما أثبته معرفة ، خفت لسانه ، وكان شريراً ، فكتبت اليه :

«عزيز علىّ ما نالك من غَرْب لسانى ، وبادرة لاعتى، وأنت أحدُ إخوانى . فاعذرْ ، فانَّ ذلك منّى على غير معرفةٍ ولا اعتماد ، ولستَ تسمعُ منّى بعدها شيئاً ان شاء الله تعالى »

كان أبو ميـة زوجاً لعمّارة [1] مولاة جنـان ، وكان له ضيعـة

---

(١) تقدم قريبا أن زوجها هو عبد الرحمن الثقفى ، ومثله فى الاغانى ، فى أخبار جنان . وروى فى الاغانى ، فى موضع آخر فى ترجمة أبان ابن عبد الحميد اللاحقى ان عمارة هذه هى بنت عبدالوهاب الثقفى ،أخت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى الذى كان ابن مناذر يهواه ، وأنها مولاة جنان التى كان أبو نواس يهواها ، وأنها تزوجت برجل من ثقيف يقال له : محمد ابن خالد ، وكان عدوا لابان بن عبد الحميد ، وكانت عمارة هذه موسرة . فلما تزوجها الثقفى ، قال أبان يهجوه ، ويحذرها منه :

لما رأيت البز والشـــاره والفرش قد ضاقت به الحاره
واللوز والسكر يرمى به من فوق ذى الدار وذى الداره
وأحضروا الملهين لم يتركوا طبلا ولا صـــاحب زماره
قلت : لماذا؟ قيل: أعجوبة : محمـــد زوّج عماره !!
لا عمر الله بها بيته ولا رأته مدركاً ثاره
ماذا رأت فيه ؟ وماذا رجت؟ وهى من النسوان مختاره
أسود كالسفود ينسى لدى التـ ـنور ، بل محراك قيداره
يجرى على أولاده خمسة أرغفة كالريش طياره
وأهله فى الارض من خوفه ان أفرطوا فى الاكل سياره
ويحك! فرى واعصبى ذاك بى فهذه أختك فراره

بحَكمان [١] ينزلها هو وابن عمه ، وأخوه أبو عثمان . فغابت بحَكمانَ ، وأرادت مولاتها أن تغيبها عنه لينساها ، وظنت أن ذكره لها عبثٌ منه . فكان يقصد الجبل بالبصرة ، فيسأل كل من أقبل من تلك الناحية عنها . الى أن جاء يوماً . عشت عنه ولن يقص من يعرف [٢] ؟ فقال أبو نواس :

أسألُ القادِمينِ من حَكْمانِ : كَيْف خَلَّفْتما أبا عُثْمانِ ،
وأبا مَيَّةَ المُهذّبَ والمأ مُولَ والمُرْتَجى لرَيْب الزمانِ؟
فيقولان لى : جنان كما سـ ـــرك من حالها فَسَلْ عن جِنان
مالَهُم ؟ لا يُبارِكُ فيهم ! كَيْف لم يُغْنِ عنهمو كِتْمانِي ؟
صِرْتُ كالتِّين يشرب الماء فيما قال كِسْرى بعلَّةِ الرَّيْحان
أوكما قيل قبلُ : إيَّاكِ أعْنى فاسْمعوا يامَعاشِرَ الجِيران [٣]

فلما بلغت مولاتها هذه الأبيات ، بعثت اليه إن أردت ، وهبتها لك . فقال : أريد ذلك ان أرادته هى ، فأخبرت جنان بذلك ، فقالت : نعم ! لكن على شرط أن لا يلوط . فقال : ليس الى هـذا سبيل ، ولم أكن لأضمن لها هذا الشرط ، لأنى به ضَنِين . وقال :

اذا غفا بالليل فاستيقظى ثم اطفرى انك طفاره
فصعدت نائلة سلما تخاف أن تصعده الفاره
سرور غرتها فلا أفلحت فانها للخناء غراره
لو نلت ما أبعدت من ريقها ان لها نفثة سحاره

قال : فلما بلغت قصيدته هذه عمارة ، هربت ، فحرم من جهتها مالا عظيما . قال : والابيات الثلاثة التى أولها : فصعدت نائلة سلما الى آخر الابيات ، زادها فى القصيدة بعد أن هربت

(١) حكمان كسلمان : موضع بالبصرة ، سمى بالحكم بن أبى العاص
(٢) كذا فى الاصل ، ولم نهتد إلى حله بعد . وحرر
(٣) يشير بذلك الى المثل المشهور ، وهو : « إياك أعنى فاسمعى ياجارة »

يُشارطنى الحبيبُ على الشُّروطِ ولستُ بما يُشارط بالسَّخوط
أرى تركَ اللَّواط علىَّ عاراً لأنى واحدٌ من قَوم لوطِ

قال محمد بن عبد الملك بن مروان الكاتب : كنت جالساً بسر من رأى ، بشارع أبى أحمد ، فأنشدت قول أبى نواس :

أسأَلُ القادِمَيْن من حَكْمان : كَيْفَ خَلَّفْتُما أبا عُثْمانِ ؟

وكان الى جانبى شيخ جالس ، فضحك ، فقلت له : لقد ضحكت من أمر ؟ قال: أجل ! أنا أبو عثمان الذى قل فيه أبو نواس هذا الشعر ، وأبو ميـة ابن عمى . وجنان جارية أخى ، ولم تكن فى موضع عشق ولا عشرة ، ولا كان مذهب أبى نواس النساء ، ولـكنه كان عبثاً منه

قال علىّ بن سليمان : قال لى أبو العباس محمد بن يزيد : قال النابغة :

أَكَنِّى بغير اسْمِها وقد عَلِم اللـــهُ خَفِيَّات كُلِّ مُكْتَتَمِ

وهو سبق النـاس الى هذا المعنى ، وأخذوه جميعاً منه ، فزادوا ونقصوا ، وأحسن من أخذه أبو نواس حيث يقول :

أسأَلُ القادِمَيْن من حَكْمانِ : كيف خلَّفتما أبا عثمان ؟

وكتب أبو نواس الى جنان فى حكمان من بغداد :

كَفى حَزَناً أن لا أرى وجْه حيلة أزور بها الأحباب فى حَكْمان
وأقْسِمُ لولا أن تَنال مَعاشِرٌ جناناً بما لا أشْتَهى لجنان ،
لأصْبَحْتُ منها دَانِىَ الدار لاصِقاً ولكنَّما أخْشى فُدِيت عدانى

فَوا حَزَنًا يودى إلىَّ به الرَّدىٰ ويصبحُ مأثوراً بكلِّ مَكانِ

أرانى انقضتْ أيامُ وصلى منكمو وآذن منكم بالوَداعِ زمانى

أشرف أبو نواس من دارٍ على منزل عبد الوهاب الثقفىّ ، وقد مات بعض أهله ، وعندهم مأتم ، وجنان واقفة مع النساء تلطم ، وفى يدها خضاب ، فقال :

ياقبراً أبرزَه مأتمٌ يَنْدُب شَجْواً بين أترابِ

يَبْكى فيُذرى الدُّرَّ من نَرْجسٍ ويَلْطِمُ الوَرْدَ بِعُنَّابِ

لاتَبْكِ مَيْتاً حلَّ فى حُفْرَةٍ وابْكِ قَتيلاً لك بالبابِ

أبرزه المأتَم لى كارِهاً برَغْمِ دَاياتٍ وحُجَّابِ

لازالَ موْناً دَأب أصحابِه وذَاك أن أُبْصِرَه دابى

كان سفيان بن عُيَيْنَة يقول: لقد أحسن بَصرِيُّكم هذا أبو نَوَّاس (وفتح النون وشدّد الواو) حيث يقول :

ياقبراً أبرزَهُ مأتَمٌ يَنْدُبُ شَجْواً بين أتْرابِ

يبكى فيُذرى الدُّرَّ من نرجس ويلطم الوَرْد بعُنَّاب

ويتعجب من قوله : ويلطم الورد بعناب

وحدث الحسين الضحاك المعروف بالخليع ، قال : أنشد سفيان بن عيَينَة قول أبى نواس :

يبكى فيُذرى الدَّر من نرجس ويلـطم الورد بعنـاب

فتعجبت منه . ثم قال بعد أن أطرق ساعة : آمنت بالذى خلقه

وقيل أن أبا نواس قال هذا الشعر فى غير جنان . وذلك أنه كان فى درب عَوْف رجل يقال له مبارك ، وكان يلبس ثياباً نظيفة سريّة ، ويركب حماراً ، فيطوف عليه السُّوق بالليل ، ويكريه نهاراً ، فاذا رآه من لايعرفه ظن أنه من التُّجَّار ، وكان يصل اليه فى كل شهر من السُّوق ما يسعه ويفضل عنه ، وكانت له بنت من أجمل النساء . فمات مبارك وحضره الناس ، فلما خرجت جنازته خرجت بنته حاسرة بين يديه ، فقال أبو نواس فيها :

يا قمراً أبرزه مأتَمٌ يَندُب شَجْواً بين أتْراب

خرج أبو نواس يوماً فلقى جنان خارجة الى بعض المآتم بالبصرة ، وعليها قناع وشْيٍ ، فاتبعها وكلمها ، وقال لها : أين تريدين ؟ قالت : مأتم آل فلان أعزيهم عن بنت لهم ماتت . قال : فأنا والله أتنقب وأجىء معك حتى أراك حاسرة . قالت : شأنك . قال : فتنقب ومضى معها فى هيئة النساء ، حتى اذا رآها حاسرة قال فيها :

يا مُنْسِيَ المَأْتَم أشْجانَهُم لما أتاهُم فى المُعَزِّينا
حلَّت قِناعَ الوَشْيِ عن صورَةٍ ألْبسَها اللهُ التَّحاسينا
فاستَفْتَنَتْهُنَّ بتِمثالِها فَهُنَّ للتَّكْليف يَبْكينا
حَقٌّ لذاك الوجه أن يَزدهى عن حُزنِه من كان مَحزُونا

قيل لأبى نواس : إن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جنان وتنقصته ، فقال :

وَا بأبى مَنْ إذا ذُكِرتُ له وطولُ وَجدِى به تَنَقَّصنى
لو سألوه عن وَجْهِ حُجَّته فى سَبِّه لى ، لقال : يَعشَقُنى
نَعَم الى الحَشْر والتَّناد نَعَم أعشَقُه أو أُلَفَّ فى كَفَنى
لا تَثنِنى وَيك ! عن مَحَبَّته مادام روحى مُصاحِباً بَدَنى !
أصيحُ جَهراً لا أستسِرُّ به عَنَّفَنى فيه من يُعَنِّفنى :
يا مَعشَر الناس فاسمَعوه وعوا : أنَّ جِناناً صديقَة الحَسَنِ

فبلغها ذلك ، فغضبت عليه غضباً شديداً ، وهجرته ، وأطالت هجره . فرآها ذات ليلة فى منامه ، وكأنها قد صالحته ، فاهتاج شوقا اليها ، وكتب اليها من فوره :

إذا ٱلتقىٰ فى المنام طَيْفانا عادَ لنا الوَصلُ كما كانا
ياقُرَّةَ العينين : ما بالُنا نَشْقىٰ ويَلتَذُّ خَيالانا ؟
لو شِئتِ اذ أحسَنْت لى فى الكَرىٰ أتممت إحسانَك يَقْظانا
يا عاشقَين ٱصطلحا فى الكَرىٰ وأصبحا غَضبىٰ وغَضْبانا :
كذلك الأحلامُ غَرَّارَةٌ ورُبما تَصدُقُ أحيانا

ورآها يوماً فى ديار ثقيف ، فتهجمته بما يكره ، فغضب وهجرها مدة ، فأرسلت اليه رسولا لتصالحه ، فرده ولم يصالحها . فرآها فى النوم تطلب صلحه ، فقال :

دَسَّت له طَيفها كيما تُصالِحَه
فى النَّومِ حين تأبَّى الصّلحَ يَقظانا

فلم يَجِدْ عندَ طَيْفِى طَيْفُها فَرَجًا ولا رَثَىٰ لتشَكِّيه ولا نالا
حَسِبْتِ أنَّ خَيالى لايكون كما أكونُ من أجلِه غَضْبان غَضْبانا
جِنانُ لا تسأليني الصُّلْحَ سُرْعَةَ ذا فلم يَكنْ هَيِّنًا مِنْكِ الذى كانا

كتب أبو نواس الى جنان وقد غضبت عليه من أجل كتاب كتبه اليها وفيه محو كثير فقال :

غَضِبَتْ لمَحْوٍ فى الكتاب كثير قالت : أراد خيانَتِى وغُرُورى
كتب الكتابَ على خلاف ضميره فالمحْوُ فيه لكثرة التَّغيير
لا ، والذى إن شاءَ صيرنا معاً فَادَاكِ من حُزْنٍ هناكَ سُرورى
ما كان ذاكِ لما أتىٰ من قولها منى ، ولا للسَّهْو والتقصير
كتبتْ يمينى والدُّموعُ سواكبٌ صِفَةَ اللسان بما يُكنُّ ضميرى
فالمحو من قِبَل الدموع وإنما تجرى دموعُ العاشق المهجور

وكتب أبو نواس الى جنان ، وقد عتب عليها من أجل كتاب :

أكتُبى إن كتبتِ يامُنيةَ النَّفْ سِ بنُصْحٍ ودِقَّةٍ وبَيانِ
أكثرى السَّهْرَ فى كِتابِك وامْحيـ ـه إذا ما محَوتِه باللِّسانِ
وأمِرِّى المَسْحاتِ بين ثنايا كِ العِذابِ المفْلَجاتِ الحِسانِ
إننى كلَّما مَرَرت بِسَطْرٍ فيه مَحوٌ لَطَعتُه بلسانى

تِلْكَ تَقْبيلَةٌ لكم من بَعيدٍ أُهْدِيَتْ لى وما بَرِحت مكانى

وقال متغزلا فيها :

لولا حِذارى من جِنانِ خلعتُ عن رأسى عِنانى
وركبت ما أهْوىٰ وكم أجْفُو مقالة من نهانى ؟
وخرجتُ أخْبِط سَادِراً لم أغن عن حُبِّ الغوانى
قد ذُبْتُ غير حشاشةٍ فى النفس تحْبسها الأمانى
يا من يَلوم على الصّبا : دَعْنى فشأنكَ غير شانى
لم تَلْق من حزن الهوى ما قد لَقِيت على عنان
أنَّى تَرُدُّ على قَلْ باً راح فى غَلَق الرِّهان ؟
قلبـــاً اذا كلَّفته غير الذى يهوىٰ عصانى
قد خُضْت فى لُجَج الهوىٰ وشربت صافيةَ — الدِّنان
ومضمَّخاتٍ بالعبيـ ـرِ نزلن من غُرَف الجنان
راضَعتُهُنَّ من الصِّبا كأساً عَقَدْن به لسانى
أقبلن من باب الرُّصا فَةَ كالتماثيل الحِسان
يحْفِفْنَ أحورَ كالغزا لِ أمرّ إمرارَ العِنان
يمشى بِرِدْفٍ كالنَّقا يختال تحت قَضيب بانِ

فاذا انجليت فجاملى كيلا أموتَ على المكان
ولقد أقول لمن دعا هُ من الهوىٰ ماقد دعانى :
إبلغْ هواك من الغِنَا والكأس وآغنَ عن الزَّمان
لايشغَلَنّكَ غير ما تهوىٰ ، فكل العَيْش فانِ
ودع الهوان لأهله إذ زلت عن دار الهوان

قال الجماز : حججنا فى السنة التى حج فيها أبو نواس ، فالتقينا فى الطواف جميعاً . ثم تقدمنى ، فكنت أراه خلف امرأة ، ولا أكاد أراه الا خلفها ، وهما ، أمامى . فلم أدر من هى ؟ ثم صرت الى الحجر الأسود فاذا أنا بالمرأة تلثم الحجر ، واذا هو قد لثمه معها ، حتى ألصَق خدّه بخدّها . فقلت : هذا أفسق الناس . ثم تفطنت فاذا هى جنان ، فلما انصرفا ، لقيته ، فقلت له : ويحك ! فى هذا الموضع لايزجرك زاجر ، ولا يمنعك خوف الله عز وجل ، ولا يردك حياء من الناس ؟ قد رأيتك وما صنعت اليوم . فقال : يا أحمق ! وحسبت قطع المهامِه [1] والسباسب والرمال الا للذى حججت له ، واليه قصدت . ثم أنشأ يقول :

وعاشقَيْنِ ٱلتَف خَداهما عند ٱلتِثام الحَجر الأَسوَد
فاشتَفَيا من غير أن يأثما كأَنما كانا على موعِدِ
لولا دفاع النّاس إياهما لما استفاقا آخِرَ المسند

---

(١) المهامه جمع مهمه ، وهى المفازة ، قال الشاعر

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن أرضه سماؤه

طَلْنا كلانا ساترٌ وَجْهَه ممَّا يلى جانِبَهُ باليَدِ
نَفْعل فى المَسْجِدِ ما لم يَكُنْ يَفْعلُه الأَبْرارُ فى المَسْجِدِ

« أبو نواس وجارية القاسم بن الرشيد »

مرت جارية للقاسم بن الرشيد جميلة ؛ وفى كفها نرجس ، فجمشها أبو نواس ، فلم تكلمه ، فقال ما أقبح الهجر بك يا سيدتى ! فقالت له : أقبح من هجرى افلاسك : فأنشأ يقول :

قلتُ لها يوما ، وَمَرَّتْ بنا رُعْبوبَةٌ (١) فى كَفِّها نَرجِسُ :
ما أَقبَحَ الهَجْرَ ! فقالت انا : أَقْبَحُ منه عاشِقٌ مُفْلِسُ

« أبو نواس وجارية مغنية من جوارى بنى المهلب »

قال أبو نواس : تعشقت جارية مغنيـة من جوارى بنى المهلّب ، فكانت تراسلنى وأراسلها . فأرسلت الىّ يوماً وصيفة لها لطيفة ، فعبثت بها فأخبرت بذلك سيدتها فكتبت الىّ تقول :

ليس الفتى الحرُّ المُحِبُّ مُجَمِّشاً لرسول حَبَّةِ قَلْبِه المُرْتاحِ
ذَاكَ الخَلِىُّ من الهَوى وَعَذابِه وحَليفُ كلِّ إرادَةٍ ومِزاحِ

فكتب اليها :

زَعَمَ الرسولُ بأنَّنى جَمَّشْتُه كذب الرسولُ وفالِقِ الاصْباحِ

---

(١) الرعبوبة الجارية البيضاء ، الحسنة ، الرعبة ، الحلوة ، الناعمة

إن كنتُ جمشتُ الرسولَ فما قَصَتْ
رُوحى أناملُ قابِض الأرواح
شُغْلى بُحُبِّكِ عن سواكِ ، وليس لى
قَلْبانِ : مشغولٌ وآخَرُ صاحِ
قَلْبى الذى لم يُبْقِ فيه هواكُمُ
فَضْلا لتَجْميشٍ ولا لمزَاح

« أبو نواس ورحمة بن نجاح أيضاً »

قال هارون بن سعد بن الحارث : كنت أسمع فى الكوفة بذكر أبى نواس ، فسألت أبى أن يجهزنى بتجارة الى بغداد ، ففعل ، فوصلت بغداد ، ولزمت دار أبى نواس ، وخدمته حتى قربت من قلبه . فأتى لأمشى معه ذات يوم فى بعض الطرق إذا أقبل غلام ما رأيت قبله أحسن منه . بطرة على جبينه ، وشقرة حسنة ولباس حسن وكان أبو نواس فى يومه ذاك واجماً ، كثير التفكر ، فوقف الغلام وسلم عليه ، فرد أبو نواس عليه السلام ، وجعل الغلام يمازحه فلاينبسط أبو نواس له ، فحمل عليه الغلام فى المزاح والكياد . فلما أضجره قال لى : أمعك ألواح ؟ قلت : نعم ، قال : هاتها فأخذها وكتب فيها [1] :

إذهب نجوتَ من الهِجاء ولَذْعِهِ وأما ولَثْغَةِ رحْمَة بن نَجاح

---

(١) ذكرت هذه القصة فى الاغانى برواية أخرى ، على ما بينته فى هامش صفحة ٨٩ من هذا الكتاب

لولا فُتورٌ فى كلامك يُشْتَهَىٰ ... وتَرَفُّقى لك بَعْدُ واستِملاحى

وتَكَسُّرٌ فى مُقْلتيك هو الذى ... عَطَفَ الفؤادَ اليك بعدَ جِماحِ

لعلمت أنَّك لا تُمازحُ شاعراً ... فى ساعةٍ ليستْ بحينِ مِزاحِ

ورحمة هذا هو الذى يقول فيه أبو نواس (وهو عم نجاح بن سليمان الكاتب)

يامن لعَيْنٍ سَرِبَه ... تفعل فِعْل الطَّرِبه ؟

يامن لنَفْسٍ فى الهوى ... تَدور دور العَرَبة ؟

قد سلَّنى حبك حتَّ ... ى صِرْت مِثْل القَصَبَه

أحْبَبْتُ ريما غَنِجاً ... ذا وَجْنَةٍ كالذَّهَبَه

فلست أنسىٰ قوله ... من غَمْز كفِّى : يا أبه

رَحْمَةُ يا نَفْسى الفِدا ... ويا غَزال الكَتَبه :

تركتنى مُشْتَهِراً ... أشهرُ من مُخْتَلَبَه

فَلَيْتَ حَظّى قُبْلَةٌ ... منكَ شِراءً أو هِبَه

فقال لى مستَهْزِئاً : ... ألاَّ تَمَنَّى حَدَبَه ؟

قلت : بلى ياسيدى ... وسلْعَةٍ فى الرَّقَبه

ولائِم قلت له : ... لا تكثِرَنَّ الجَلَبَه

إن الذى أحْبَبْتُه ... له علىَّ الغَلَبَه

وقال أبو نواس يهجو عبيد الله بن أبي سهل بن نوبخت :

ثَقيلٌ يطالِعنا من أمَمْ ... أذا سَرَّه رَغْم أنفى ألَم
لطَلْعتِه وخْزَةٌ فى الحَشا ... كوَقْع المَشارِطِ فى المحتَجَمْ
كأنَّ الفؤادَ أذا ما بَدا ... باشْفا الى كَبِدى تُنْتَظَم
أقول له إذْ أتَى : لا أتَى ... ولا حمَلَتْه الينا قَدَم
فَقَدْت خَيالَك لامن عَمًى ... وصَوْتَ كلامِكَ لامِنْ صَمَم
تَغَطَّ بما شئْتَ عن ناظِرى ... ولو بِحرِ أمِّك لا تحْتشم

فلما بلغ سليمان بن أبي سهل بن نوبخت ، أجاب عنه بقوله :

وذى نَزوةٍ من قَبيح الشّيَم ... صَريحِ الدَّناءَةِ مَولى الكرَم
بعَينيه عن كلِّ حُسْنٍ عَمىً ... وأذنيه عن كلِّ خَيرٍ صَمَم
خَفِىٌّ على أعين المكرُما ... ت وأشهرُ فى رِيبَةٍ من عَلَم
إذا رُفِعت للخنا رايةٌ ... ألحَّ على ساقِه واعْتَزَم
وإنْ نَهَض الناسُ للمَكْرما ... تِ فماتَحْمِل الساقَ منه القَدَم
ويَغدو بحِرْفَته للصديق ... وإن حصَّنته دروع النِّعم
أقدُّ لنُعماه من شَفْرةٍ ... وأقطع فى عُمْرِه من حَكَم
ويَنْمىُ الى حَكَمٍ دَعْوةً ... وما إنْ له نَسَبٌ من حَكَم

كأنَّ الوَقاحةَ مَدَّتْ له على وجهه رُقْعَةً من أدَم
أحَبُّ الى الناس من قُرْبِه حُلولُ المَشيبِ بهم والسَّقَم
وأشْهى الى العيْنِ من شَخْصِه سفَا بين أجْفانها يُنْتظم
وأسعَدُ ما تجتنيهِ النُّفو سُ اذاما تَكلّم داءُ الخَشَم
أشَدُّ اذا مالَ من نَتْنِه مُناسَبَةً بين دُبْرٍ وفَم
ولما تطرَّق أعراضَنا ولم يك فى عِرضه منتقم
كتبت الهجاءَ على أخْذ عيـــه بمزدوَجٍ من أكفِّ الخَدَم

فلما سمع أبو نواس هذا الشعر وغيره مما هجوه به ، قال :

لقد نسلت رزين نَسْلاً من اُسْتِها
عليهن سِيما فى العيون تلوح
فعَشْواءُ مِضْليلٌ ، وأعشى مضلّلٌ ،
وأعورُ دَجّالٌ ، عليـــه قُبوح
اذا اُسْتنطقت رَزِّين يوما تعاجمت
وفُو فَرْجها بالفاحشات فَصـــيحُ
سيَبْقى بَقاء الدَّهرِ ما قلتُ فيكم
وأما الذَّى قد قُلْتموه فريحُ

« أبو نواس وأصحابه واستهداؤهم شرابا من عبد الملك بن ابراهيم بن قبيصة »

خرج أبو نواس مع أصحاب له الى متنزه بالبصرة ، فلما صاروا اليها انشق زقّ لهم فيه شراب ، فقالوا لأبى نواس : مالنا غيرك ، أكتب الى عبد الملك بن ابراهيم بن قبيصة فى نبيذ ، وكان فى ضيعة له ، قريبا منهم ، فكتب اليه :

يا ابن ابراهيم يا عبدَ المَلِك ... واثِقاً أقبلتُ بالله و بِك

أنت للمال اذا أصلحتَه ... فاذا أفسدتَه فالمالُ لَكْ

إن زِقّاً كان يَرْوى شَرْبَنا ... عَصَفَ الدَّهر عليه فَهَلَكْ

فأمر لهم بما أرواهم من النبيذ ، وبعث اليهم بدنانير ، وقال : هذه نفقة هذا وكتب أبو نواس أيضاً الى صديق له يستهديه نبيذاً :

يومنا يومٌ لَذيذٌ ... مالنا فيه نَبيذُ

أنا من تَعْطيل يَوْمى ... بك فيه أستَعيذُ

شرب يحيى بن زكريا دواء ، فأهدى اليه الناس هدايا ، وتباروا فيها . فكتب اليه أبو نواس :

تَنَوَّع فى الهَدِيَّة كلُّ قِرْمٍ ... اليك غَداةَ شُربِك للدَّواءِ

فلمَّا أن هَمَمْتُ بها مُدِلاًّ ... إليك بُحرْمَتى بك والأخاءِ

رأيت كثير ما أهدَوْا قَليلاً ... لمثلِك ، فاقْتَصرت على الدّعاء

« أبو نواس وانشاده بيتاً لذى الرمة فى الخمر والرد عليه ممن لايرى شخصه »

قل بعضهم : صار الىّ الحسن بن هانئ فى ليلة من الليالى وهو مرعوب ، فنزع ما كان عليه من الثياب ، وأخذ قميصا وسراويل ، وأراد أمراً يتأتى ، ثم تطهر ولبسها ، وما زال يصلى باقى ليلته الى الصبح ، ثم أصبح صائما . فسألته عن السبب فى ذلك ، فقال : كنت منصرفا من بعض المواخير ، فاجتزت من مقبرة ، فبينا أنا ماش فيها اذ أنشدت قول ذى الرُّمة [1] :

---

(١) هو أبو الحارث غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة ابن ساعدة بن كعب بن عوف بن ربيعة بن ملكان بن عدى بن عبد مناة بن أد بن ضابخة بن الياس بن مضر بن نزار ، المعروف بذى الرمة . وهو شاعر من شعراء الدولة الاموية ، من فحول الشعراء . ولقب بذى الرمة لانه استسقى امرأة ماء ، وكانت على كتفه رمة (وهى قطعة من حبل) فقالت : اشرب ياذا الرمة ، فلقب به . وقيل غير ذلك . وهو أيضاً أحد عشاق العرب المشهورين بذلك . وصاحبته مية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقرى الذى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم فأكرمه وقال له : أنت سيد أهل الوبر . وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه . وفيه يقول مخاطباً ناقته « صيدح » وكان اسمها :

اذا ابن أبى موسى بلال بلغته فقام بفأس بين وصليك جازر

وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ فى عرابة الاوسى وهو يخاطب ناقته :

اذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

وجاء بعدهما أبو نواس فكشف عن هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الامين محمد بن هرون الرشيد :

واذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

حتى قال بعض الادباء لما وقف على بيت أبى نواس : هذا المعنى والله الذى كانت العرب تحوم حوله فتخطئه ولا تصيبه ، قال الشماخ كذا ، وقال ، والرمة كذا ، وأنشد بيتيهما المذكورين وما أبانه الا أبو نواس بهذا البيت ، وهو فى نهاية الحسن . والاصل فى هذا المعنى قول الانصارية المأسورة بمكة ، وكانت قد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وصلت اليه قالت يا رسول الله : انى نذرت ان نجوت عليها أن أنحرها ، فقال رسول الله صلى

بَطيرِ ناباذَ كَرُمٌ ما مَرَرْتُ به الاَّ تعجبتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الماءَ

فأجابنى مجيب من المقبرة ، أسمع صوته ولا أرى شخصه :

وفى جَهَنَّم ماءٌ ما تَجَرَّعه حَلْقٌ فأَبقى لهُ فى الجَوْفِ أمعاءَ

فراعنى ذلك ، فكان منى ما رأيت

« أبو نواس ووصفه للأشربة »

قال يحيى بن زكريَّا : دخلنا على أبى نواس فى عِدَّة من الظرفاء ، فقلنا له : صف لنا الأشربة ، فقد عرفنا تمكنها من شهوتك ونشوء محبتها فى طبيعتك ، فقال :

أما الماء فيعظم خطره بقدر تعذره . وأما السويق فبلغة العجلان ، وتَعِلَّة المريض . والسكنجَبين دواء المرْضى ، ويشاركهم فيه الأصحاء . والجلاب[1] شراب الصبيان . وأما اللبن فيشبع الجائع الغرثان[2] ، ويروى الظمآن . وأما الداوى ؟ فكالبياض فى الديار والذى فى الشعار[3] . وأما العسل فنبيل المنظر ، نحيف المخبر . وعن الخمر تنفرون ، وهى شقيقة الروح ، وصديقة النفس ، ما ارتضعت ممزوجة .

الله عليه وسلم : لبئس ما جزيتها . وتفسير هذا المعنى أنى لست احتاج أن أرحل الى غيرك ، فقد كفيتنى وأغنيتنى . الا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح وذو الرمة دعا عليها ايضاً بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الاسفار ، فهو أتم فى المقصود ، لكونه أحسن اليها فى مقابلة احسانها اليه . حيث أوصلته الى الممدوح . وأخيار ذى الرمة كثيرة جداً والاختصار فيها أولى . وكانت وفاته سنة ١١٧ هـ ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة ، وأنشد :

يا قابض الروح عن نفسى اذا حضرت وغافر الذنب : أخرجنى عن النار

(عن وفيات الاعيان لابن خلكان)

(١) الجلاب ماء الورد (٢) الغرثان الجائع أيضاً

(٣) كذا فى الاصل ، ولم نهتد اليه . فليحرر

وصِرْفها غير مأمون على إنهاك البدن بعاجل الألم وآجل السّقم ، مع غرس سقَم يؤدى الى عَطَب . ثم قال :

لاَئمى فى المُدام غيرَ نَصوحِ ... لا تَلُمْنى على شقيقة رُوحى
لا تَلُمنى على التى فتَنَتْنى ... وأرَتْنى القَبيحَ غير قبيحِ
قَهْوةٌ تتركُ الصحيح سَقيماً ... وتُعيرُ السَّقيمَ ثوبَ الصَّحيح
إنَّ بَذْلى لها لبَذْلُ جَوادٍ ... واقْتِنائى لها اقْتِناءُ شَحيح

ومن جيّد شعر أبى نواس فى الخمر قوله :

لا تُعَرِّجْ بدارس الأطلال ... وأسْقِنيها رَقيقةَ السِّرْبال
بادَ أربابُها وبادتْ قُراها ... وبَراها الزَّمانُ بَرْىَ الخِلال
عَتُقَتْ فى الدِّنان حتَّى استفادت ... نورَ شمْس الضُّحى وبَرْدَ الظِّلال
فهى بِكْرٌ كأنها كلّ شَىءٍ ... حَسَنٍ ، طيِّبٍ ، لذيذٍ ، زُلال!
ولَعَمر المُدامَ ان لُمتَ فيها ... إنَّ فيها لموضعاً للمَقال

وقوله :

لا تُسمِّ المدامَ إن لُمْتَ فيها ... فتشين اسمها المليحَ بفيكا
فاسقيانا يا ساقيانا عُقاراً ... بنْتَ عَشرٍ تَخالُ فيها السَّبيكا
وإذا الماء شَجَّها خِلْت فيها ... لؤلؤاً فوق لؤلؤ مسلوكا

وقوله :

أطِعِ الخليفةَ واعْصَ ذا عَزْفِ ... وتَنَحَّ عن طَرَبٍ وعن قَصْفِ

عَيْنُ الخليفة بى مُوَكَّلةٌ ... عقدَ الحذارُ بطَرْفه طرفى

صَحَّت علانيتى له ورأى ... دِينَ الضَّمير له على حَرْفِ

فلَئن وَعَدتك تركها عِدَةً ... إنى عليك لخائفٌ خُلْفى

ومُدامةٍ تَحيا الملوكُ بها ... جلَّت مآثرها عن الوَصْف

قد عُتِّقتْ فى دَنِّها حُقُبًا ... حتى اذا آلت الى النّصف

سَلَبوا قناعَ الطِّين عن رمَقٍ ... حىّ الحياة مُشارِف الحَتْف

فتنفَّستْ فى البَيْت إذا مُزِجَتْ ... كتنفُّس الرَّيحانِ فى الأنْف

دارتْ فواقعها لناظرها ... مُتصَنِّعًا بخلاف ما يُخفى

من كَفّ حارية مُقَرطقَةٍ ... ناهيكَ من حسنٍ ومن ظَرف

نظرتْ بعينَىْ جُؤْذرٍ خَرِقٍ ... وتَلَفَّتتْ بسوالف الخَشْف

فشَرِبتُ من يَدِها ومن فَمِها ... ورَشَفْتُ غير مُلعّنِ الرّشْفِ

قالت ، وقد جعلت تَمايَلُ لى ... كتمايُل المائى على الدّفّ :

وَجْهى إذا أقبلتُ يشفعُ لى ... وعَذابُ قلبك حُسْنُ ما خَلْفى

وقوله أيضاً :

لا تَخشَعَنَّ لطارِق الحَدَثان ... واُدْفَع همومك بالشراب القانى

أوماترى أيدى السحائب رَقَّشتْ حُلَلَ الثّرى ببدائع الرَّيْحان ؟
من سَوْسَنٍ غَضّ القطاف، وخزّم، وبَنَفْسَج ، وشقائق النعمان ،
وجَنِيّ وَرْد يَسْتَبيك بحسنه مثل الشُّموس طَلَعْن من أغصان !!
حمراً وبيضاً يَجْتَنين وأصفراً وملوّنا ببـــــدائع الألوان
كعقود ياقوتٍ نُظِمْنَ ولؤلؤ أوساطهن فرائد العقيان
ومن الزّبَرْجد حولهن ممثـلا سِمْطاً يَلُوحُ بجانب البُستان
فاذا الهموم تعاورتك فَسَلّها بالرَّاح والرَّيْحانِ والنَّدْمان ! ! !

« الجاحظ وما كان يراه فى اسم عمرو ، والواو الملحقة به
وما قاله أبو نواس فى ذلك يهجو أشجع السُّلَمىّ »

كان الجاحظ يزعم أن عمراً أرشق الأسماء ، وأخفها ، وأظرفها ، وأسهلها مخرجا وكان يسميه ،، الاسم المظلوم : لالزامهم به الواو التى ليست منه ، ولا فيه دليل عليهـا ، ولا اشارة اليها . ويزعم أن هذا الاسم لم يقع فى الجاهلية الا على فارس مذكور ، أو ملك مشهور ، أو رئيس مطاع ، أو سيد متبوع ويعد جماعة من ذلك ، وينشد على ذلك لأبى نواس يهجو أشجع السلمىّ (١)

---

(١) هو أبو الوليد أشجع بن عمر السلمى . من ولد الشريد بن مطرود السلمى . تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة ، فشخص معهـا الى بلدها ، فولدت له هناك أشجع ، ونشأ باليمامة ثم مات أبوه هناك فقدمت به امه البصره تطلب ميراث أبيـه وكان له هناك مال فماتت بها ، وربى أشجع ونشأ بالبصرة فكان من لا يعرفه يدفع نسبه . ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعد فى

أيّها المدّعى وَلاءَ سُلَيم : لستَ منها ولا قُلامَةَ ظُفرِ
أنتَ فيها مُسْتَلْحقٌ مثل واو أُلحِقتْ فى الكتاب ظُلماً بعَمرو

وينشد لأبى نواس أيضاً فى ذلك :

وفِتيانِ صِدْقٍ قد صرفتُ مطِيَّهم الى بَيتِ خَمَّار نزلنا به ظُهْرا
فلما حكى الزّنّارُ أنَّ ليس مُسْلماً ظننَّا به خَيراً فظن بنا شَرا
فقلنا : على دين المسيح بن مريم ؟ فأعرض مُزْوَرًّا وقال لنا هجرا :
ولكن يهودىّ يُحبّك ظاهراً ويضْمر فى المكنون منه لك الغَدْرا
فقلتُ له : ماالاسم : قال : سَمَوْءَلٌ على أنَّنى أُكْنَى بعَمْرٍ ولا عَمْرا

الفحول . وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ولم يكن لقيس شاعر معدود ، فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه . ثم خرج الى الرقة ، والرشيد بها ، فنزل على بنى سليم فتقبلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة . وانقطع الى جعفر بن يحيى خاصة ، وأصفاه مدائحه ، فأعجب به ووصله الى الرشيد ومدحه فأعجب أيضا ، فأثرى وحسنت حاله فى أيامه وتقدم عنده وأول قصيدة مدح بها الرشيد قوله :

قصر عليه تحيـــة وسلام ألقت عليـــه جمالها الايام
قصر سقوف المزن دون سقوفه فيـه لاعلام الهدى أعلام
وعلا عدوك يا ابن عم محمـــد رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعتـــه واذا غفا سلت عليه سيوفك الاحلام

وقال أبو نواس يهجو أشجعا :

ألا يا حادثاً فيـــه لمن يتعجب العجب
لاسماه يسميه ن أشجع حين ينتسب
تعلمها واخوته فكلهمو بها ذرب
فيا لك عصبة ان حـ ـدثوا عن أصلهم كذبوا
وهم ما لم تنقر عن أروم أصولهم عرب
لهم فى بيتهم نسب وفى وسط الملا نسب
كمن لم تخف سافرة وتنكر حين تنتقب

وما شَرَّفتنى كُنيَةٌ عَرَبيةٌ ولا أكْسَبتْنى لاثناءً ولا فَخْرا
ولكنها خَفَّت وقَلَّت حُروفها ولَيْست كأُخرىٰ إنما جُعِلتْ وقْرا
فقلت له ، عجباً بظَرْف لسانه : أجدتَ أبا عمرو فَجَوِّد لنا الخمرا

فاستدل بقوله : وما شرفتنى كنية عربية على أنها كنية الأشراف والملوك والأكابر . وقوله : ولا عمراً ، أى ولا وُلد لى ، لأننى صبىّ

وبقية هذه القصيدة :

فأدْبرَ كالمُزورّ يَقْسِم طرفَه لأرجلنا شطراً ، وأوجهنا شطراً
وقال : لعمرى لو أحطتم بوصفها لَلُمناكُمُ ، لكن سنُوسِعكُمْ عُذرا
فجاء بهـــا زَيْتِيَّةً ذَهَبِيَّةً فلم نستطع دون السجود لها صبرا
خرجنا على أن المقامَ ثلاثةٌ فطاب لنا حتى أقمنا بها شهرا
عصابةُ سُوءٍ لا ترى الدّهر مثلَهم وان كنت منهم لا بريئاً ولا صِفرا
اذا ما دنا وقتُ الصلاة رأيتَهم يَحُثُّونَها حتى تفوتَهُمُ سكرا

ولأبى نواس فى آداب المنادمة :

نَفَسُ المدامة أطيبُ الأنفاس أهلاً بمن يحميه عن أنحاس
فاذا خلوتَ بشربها فى مجلس فاكفُفْ لسانَكَ عن عيوب الناس
فى الكأس مَشْغلةٌ وفى لَذّاتها فاجعلْ حديثَك كلَّه فى الكاس
صفْو التعاشر فى مجانبة الأذى وعلى اللبيب تخير الجُلاس

وله أيضا فى المعنى :

ولست بقائلٍ لنـديم صِدْقٍ وقد أخَذَ الشرابُ بمقلتيه :
تَنَاوَلْهـا ، والا لم أذُقهـا فيأْخذُها وقد ثَقُلت عليه !
وَلكِنى أُديرُ الكأْس عنـه وأصرفها بغَمزَةِ حاجِبَيْه
وإن مَدَّ الوِسادَ لنوم سُكْرٍ دفَعتُ وِسادتى أيضا اليه
فذلك ما حَيِيتُ له ، وإنى أبَرُّ بمثـله من وَالدَيه

وقال أيضاً وأجاد :

حقوق الكأس والنَّدْمان خمسٌ : فأوّلها التزين بالوقار ،
وثانيهـا مُسامحةُ النَّدامى وكم حَمتِ السماحة من ذِمار !!
وثالثها وإن كنتَ بن خير الـ بَرِيَّةِ مَحْتداً ، تركُ الفَخار ،
ورابعها فللنَّدْمان حَقٌّ سوى حَقِّ القرابة والجِوار
اذا حَدَّثتَه فاكْسُ الحديث الـ ـذى حَدَّثْتَه ثوب اختصار
وخامسُها يُدِلُّ به أخوه على كرم الطبيعة والنِّجار !!!

كلام الليل ينساهُ نهاراً فان الذَّنبَ فيه للعُقار
فان حكمَّت كأْسَك فيه فاحكم له بأقالة عند العِثار

وقال أبو نواس أيضاً :

وبِكْرِ سُلافةٍ فى بيْت حانٍ ... لها دِرْعانِ من قارٍ وطينِ
تَحَكَّمَ عِلْجُها أن قلتُ : سِمْنى ... على غير البَخيلِ ولا الضَّنينِ
فَضَضْتُ خِتامَها واللّيْلُ داج ... فدَرَّتْ دَرَّةَ الوَدَجِ الطَّعِينِ
بكفٍّ أغرَّ مُخْتَضِبٍ بَنانا ... مُذالِ الصُّدْغِ مَضْفورِ القرونِ
لنا منه بعَيْنَيْهِ عِداتٌ ... يُخاطِبُنا بها كَسْرُ الجفونِ
كأنّ الشّمسَ مُقْبِلةٌ علينا ... تَمَشَّى فى قلائِدِ ياسَمينِ
أقول لناقتى اذْ بَلّغَتْنى : ... لقد أصبَحْتِ عندى باليَمينِ
فلم أجْعلْك للغِربان نِحْلاً ... ولا قلتُ اُشرقى بدمِ الوَتينِ
حَرُمْتِ على الأزِمَّةِ والوَلايا ... وأعْلاقِ الرَّحالَةِ والوَضينِ (١)

وتحدَّث أحمد بن محمد الكاتب المعروف بالزائر ، قال : حدثنى أبو العباس عن أبيه ، قال : سمعت أبا نواس يقول : والله ما أحسن الشَّمّاخُ (٢) فى قوله :

---

(١) الولايا جمع وليـة ، وهى ما يوضع تحت الرحل ، والوضين : بطان عريض منسوج من شعر ، وهو للهودج بمنزلة البطان للقتب ، والحزام للسرج

(٢) هو معقل . أو الهيثم بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، والشماخ لقب غلب عليه ، والصحيح أن اسمه معقل . وأمه معاذة بنت بجير بن خالد بن أياس ، أنمارية من بنات الخرشب ، ويقال إنهن أنجب نساء العرب. وهو مخضرم : أدرك الجاهليـة والاسلام ، ولقى النبى صلى الله عليه وسلم وأنشده شعره وهو أحد من هجا عشيرته . وهجا أضيافه ومن عليهم بالقرى . والبيت المذكور من قصيدة يمدح بها عرابة بن أوس الاوسى ، يقول فيها :

إذا بلّغتني وحملتِ رَحلي عِرابَةَ فاشرقي بدم الوتين

وقال : وليس كما قال الفرزدق :

عَلامَ تَلَفّتِينَ وأنتِ تَحتي وخيرُ النّاسِ كُلّهمُ أمامي

متى تأتِ الرّصافةَ تَستريحي من الأنساع والدّبَرِ الدّوامي (١)

قال أبو نواس : كنت مائلا لقول الشماخ ، الى أن سمعت قول الفرزدق فتبعته ، وقلت :

أقولُ لناقتي إذ بلّغتْني : لقد أصبحتِ عندي باليمين

فلم أجعلك للغربان نِحلاً ولا قلت: اشرقي بدم الوتين

اذا مارايةٍ رفعت لمجـد تلقـاها عرابة باليمين

رأيت عرابة الاوسي يسمو الى الخيرات منقطع القرين

(١) الانساع جمع نسع بالكسر وهو سير ينسج عريضا تشد به الرحال . والدبر بالتحريك جمع دبرة كذلك ، وهي قرحة الدابة قال في الاغاني : وقد أخذ قول الفرزدق هذا ، داود بن سلم في مدحه قثم بن العباس بن عبد المطلب ، فأحسن ، فقال :

نجوت من حلي ومن رحلتي يا ناق ان أديتني من قثم

انك ان ادنيت منـه غدا حالفنا اليسر ومات العدم

في كفه بحر ، وفي وجهه بدر ، وفي العرنين منه شمم

أصم عن قيل الخنا سمعه وما عن الخير به من صمم

لم يدر مالا وبلى قد درى فعافها واعتاض منها نعم

وأنشد عبد الملك بن مروان قول الشماخ في عرابة بن أوس :

اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

فقال بئست المكافأة كافأها ، حملت رحله ، وبلغته بغيته ، فجعل مكافأتها نحرها . قال : ومثل هذا أن رجلا لقي المهلب بن أبي صفرة ، فنحر ناقته في وجهه فتطير من ذلك ، وقال له : ما قصتك ؟ فقال :

اني نذرت ان لقيتك سالما أن تستمر بها شفار الجازر

فقال المهلب : أطعمونا من كبد هذه المظلومة ، ووصله

وقال أبو نواس أيضا فى الخمر :

إسْقنى يا ابن أُذَين ... من سُلاف الزّرجون (١)
إسقنى حتّى تَرَى بى ... جِنّةً غيرَ جُنونى ،
قهوةً غيَّب عنها ... ناظراً رَيْبُ المَنون
عُتِّقَت فى الدَّنِّ حتّى ... هى فى رِقّةِ دينى
ثم شُجَّتْ فأَدارَت ... حولَنا مثل العُيون
حَدَقاً تَرْنو الينا ... لم تَحجَّر بجُفون
ذَهَبـــاً يُثْمِرُ دُرّا ... كلَّ إبّانٍ وحِين
بيَدَىْ ساقٍ عليـــه ... حُلّةٌ من ياسَمين
وعلى الأُذْنَين منه ... وَرْدَتا آذَرَيون
غايةٌ فى الظّرف والشَّكْـ ... ـلِ ، وفَردٌ فى المُجون
غَنِّنى يا ابن أُذَينٍ ... ولَهاً بالماطَرون

« أبو نواس يعبث بعنان فتطرده من بيتها »

قال أبو نواس : قلت يوماً لأبى دعامة : إمضِ بنا الى عنان ، قال : هى تكره مجيئك اليها وعبثك بها . فقلت له : ليس عليها منى بأس . قال : فجئنا ، وكان الظهر ، وهى ظاهرة ، ثم تطلعت فسلمت ، وسلم عليها ولم تقل له شيئاً . فقلت :

---

(١) الزرجون محركة ، الخمر والكرم أو قضبانها .

عنانُ يامُنْيَتى ويا سَكَنى : أما تَرَيْنى أجولُ فى سِكَكِكْ؟

مَلَكْتِنى اليومَ يا مُعَذِّبَتى فَصَيَّرَتْنى العُداةُ فى فَكَكِكْ (١)

فَعَجِّلى ذاكِ وارْحَمى قَلَقى وأبينى المُبْداةَ فى صَكَكِكْ (٢)

فضحكت وقالت :

لم يَبْقَ مِمَّا نطقتَ قافيةٌ يقولها قائلٌ سوى عَكَكِكْ

بَلَى، وأخرى إن قالها فَطِنٌ يقولها فى قَريض ذى تِكَكِكْ

ثم سكتت : فقلت

بلى ، وان شئتِ قلت فَيْشَلَةٌ (٣) تُسَكِّنُ الهائِجاتِ من حُكَكِكْ

فاغلقت باب الخوخة ، وقالت : لا بارك الله فيك . ألم أقل لك لا تجئنى به ؟

« أبو نواس ومروان بن أبى حفصة عند الدلفاء جارية بن طرخان »

قال أبو عبد الله أحمد بن أبى قرّ : دخل مروان بن أبى حفصة على الدلفاء جارية ابن طرخان ، وعنده أبو نواس . فاعظمه ، مولاها وأجلّه ، وقرّب مجلسه . فوَجِد أبو نواس من ذلك فى نفسه . فقال لمولاها : قل لها : فلتُجِز بيت الحبيب جرير :

---

(١) الفكك الفك ، فك ادغامه لضرورة الشعر (٢) الصكك : اضطراب الركبتين

(٣) الفيشلة رأس الذكر ، وجمعها فياشل

غَيَّضْن من عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لى : ماذا لَقِيتَ من الهَوى ولقينا ؟

فقالت ، وكانت تشبّب بالرشيد :

قد هِجْتَ بالبَيْتِ الذى أنشدتنى حُبًّا بقَلْبِى للأمام دَفينا

فقام أبو نواس وهو يقول :

عَجَبًا من حَماقة الدَّلْفاء تَتَشَهَّى فَيا شِلَ الخُلَفاء

قال أبو عبد الله : وزدت أنا على بيت أبى نواس قولى :

لو تَشَهَّيتِ غيره ، كان أولى ، من أُيورِ الدُّناةِ والضُّعَفاء

إنَّ أحْرَى الأيور عندى مَنالاً شَهَواتُ الأكْفاء للأكْفاء

قال : وألحقت ذلك بشعره ، فنسب اليه دونى ، ورواه الناس له

« أبو نواس وأوّل اتصاله بالخلفاء ثم اتصاله بعد ذلك بالرشيد »

قال أبو نواس : أول اتصالى بالخلفاء أن الرشيد قال ذات ليلة لهرثمة بن أعيَن : أطلب لى رجلا يصلح للحديث وللسَّمَر ، فخرج هرثمة فسأل ، فدلَّ علىَّ ، فأدخلنى عليه ، فسألنى الرشيد عن اسمى واسم أبى فأخبرته : ثم قال لى : ياحسن ، أرقت فى هذه الليلة ، فخطر ببالى هذان البيتان ، وهما :

وقَهْوةٍ كالعَقيق صافِيةٍ يَطيرُ من حُسْنها لها شَرَرُ

زَوَّجْتُها الماءَ كى تَذِلَّ له فامْتَنَعتْ حين مَسَّها ذَكَرُ

قال : فقلت بديها :

كذلك البِكْرُ عند خَلْوَتِها ... يظهر منها الحياءُ والخَفَرُ

حتَّى اذا ساسَها مُمَلَّكُها ... فمالها فيه ثَمَّ مُزْدَجَرُ

عادتْ له ثَيِّباً تُفاكِهُه ... قد غاب عنها بالرِّقَّة الأَتَرُ

تُرْضِعُه تارةً وتُتْبعه ... صَريع كَرْمٍ بعَيْنِهِ حَوَرُ

قال : أحسنت والله ! وأمر لى بمال ، وكان سبب اتصالى به

وصعد الرشيد يوما على بعض أسطحة قصره ، فرأى جارية عريانة ، فلم يزل يديم النظر اليها وهى تغتسل ، حتى التفتت فنظرت اليه . فلما رأته سترت فرجها بيدها ، ونزلت عن السطح الذى كانت عليه . ونزل الرشيد ، فقال : علىَّ بأبى نواس ، فجىء به ، فلما دخل قال له : قل لى على بيت قلته ، قال : قل يا أمير المؤمنين ، كيف قلت ؟ فقال الرشيد :

نَظَرتْ عَيْنى لَحْيْنى ... نظراً وافق شَيْنى

فقال أبو نواس

سَتَرتْه إذ رَأتْنى ... بين طَىِّ العُكْنتيْنِ

فبَدَتْ منه فُضولٌ ... ما تُوارَى باليَدَيْنِ

فقال له الرشيد : عرفت القصة يا ابن الخبيثة ، فخلف ماعرفها ولكن شئ وافق شيئاً . فأمر له بعشرين ألف درهم . قال : وأمر بجوارى القصر يعرضن ، فلم يظفر

بالجارية فيهن ، فصعد ومعه مسرور الخادم ، فأومأ الى الحجرة التى رآها ، واذا هى جارية طباخة ، فحظيت عنده وولدت منه

وقد كان أبو نواس يحدّثه من قبل بنوادر الناس ولكن من غير أن يفكه بأعراضهم ، ثم أعرض عن ذلك . فقال له ذات يوم ، حدثنا يا أبا نواس ، فقال . لايحضرنى شىء ، فقال: بحياتى الا ماقلت شيئا . قال : كان الكذب عملى . واليوم هجرته يا أمير المؤمنين . فضحك ، وقال : هذا أحبُّ الىّ من الحديث. وله مع الرشيد كلام ظريف فى المجون والخلاعة وما جريات تدل على خِفَّة روحه

وكان اسحاق الموصلىّ يتعصب له ، و يشيد ذكره ، ويجهر بتفضيله ، ويجلب له الرّفد من الرشيد ، ويحط من قدر الأصمعى ، لتنافس بينهما ، حتى أخذ المقام الأول بين الندمان، و بنى لنفسه فى نهر طابقٍ الدُّورَ التى لم يبن مثلها عظماء الناس بينما الأصمعىُّ يستقرض من أصحابه حاجته من المال

ومن خلال أبى نواس المأثورة أنه كان يميل مع أهل البيت سرًّا ، لا يجسر على المجاهرة . به وقد قيل له فى اعراضه عن مدحهم : لقد ذكرت كل معنى فى شعرك ، وهذا على بن موسى الرضا فى عصرك لم تقل فيه شيئا ؟ فقال: والله ما تركت ذلك الا إعظاما له ، وليس قدرمثلى أن يقول فى مثله . وأنشد :

أنا لا أستطيع مَدْح أمام كان جبريلُ خادماً لأبيه

وإنما حصل على مكانته عند الرشيد بأنه كان اذا بكر اليه سأل خواص أهل بيته عما يكون فى نفسه، أو يكون جرى له فى ذلك الوقت ، ثم ينشده أشعاراً لطيفة فى مطابقة ذلك ، فيطيب بها نفسا . قال أبو نواس : ولقد كنت يوما معه بداره ، وعلمت من بعض خدمه أنه دخل مقصورة جارية على غفلة منها ، فوجدها تغتسل وقت الظهر ، فلما رأته تجللت بشعرها ، فاعجبه ذلك منها ، فلما دخل عليه أبونواس أنشده :

نَضَتْ عنها القميصَ لصبِّ ماءٍ فوردَ وجهَها فَرْطُ الحيـــاء
وقابلت الهواءَ وقد تَعَرَّت بمعتدلٍ أرقَّ من الهواء
ومَدَّت راحةً كالماء منها الى ماءٍ معَـــدٍّ فى إناء
فلما أن قضتْ وَطَراً وَهَمَّتْ على عَجَلٍ الى أخذ الرِّداء
رأت شخصَ الرقيب على التَّدانى فأسبلت الظلامَ على الضّياء
وغاب الصبحُ منها تحت ليلٍ وظلَّ الماء يَقطِر فوق ماء
فسبحان الاله وقد براها كأحسَن ما يكون من النساء

وهذه الأبيات هى من جيد الشعر، وهى كما تراها أرق من الهواء ، وأصفى من الماء ، كما يقول فى وصف هذه الجارية الحسناء. فقال الرشيد على سبيل الاستغراب: سيفا ونِطعا ياغلام!! فقال أبونواس : ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: أمعنا كنت ؟ قال: لا ، وانما شيء خطر لى بالبال فقلته . فضحك الرشيد ، ثم أمر له بجائزة ، وصرفه

وقال بعض المترجمين ، ممن يحيط علما بأحوال أبى نواس: إن هذه الحكايات عن أبى نواس والرشيد موضوعات ، وأن أبا نواس مادخل على الرشيد قط ولا رآه، وانما دخل على محمد الأمين ، وما ملك أبو نواس عشرين ألف نواة ، فكيف بعشرين ألف درهم ؟

« اتصاله بالأمين ووصفه له بالسكر والعربدة »

كان محمد الامين اذا سكر يعربد ، وأراد كوثر أن يعرّف الأمين بأبى نواس فجمع بينهما . فقال أبو نواس لكوثر: ان السَّقىَ اليك ، فارفق به (يعنى محمداً الأمين) فانه اذا سكر ، عربد وقتل . قل : فجعل كوثر يسقيهما . ثم ان محمداً غلب عليه السكر ، فقال لكوثر : جئنى برأس أبى نواس ، فأخذه كوثر ، فقال له : قد أمرت بقتلك ، ولا بدَّ من إمضاء الأمر فيك . فقال له أبو نواس : أنا والله

أصحى من أبى حنيفة ، والرجل سكران ، وليس يحب قتلى ، ولكنه مغلوب من السكر . فقال له : وما يدريك ؟ لا بد من انفاذ أمره ! فقال له أبو نواس : أغلق علىَّ أى المجالس شئت وأقفلها ، وأنا فيها حتى يصبح . ففعل ذلك بعد أن استوثق منه . فلما نهض محمد من سكره وأصبح ، قال له : أين أبو نواس ؟ فقال له كوثر : قتلته ياسيدى البارحة بأمرك . فزجر كوثراً وصاح به ، وقال له : والله لئن كنت قتلته لأقتلنك به . فأتى كوثر ففتح عليه وأخرجه . فلما دخل عليه ، جعل يضاحكه ويلاعبه ، ويقول له : أنت ساحر ، أنت شيطان . ثم قال لكوثر : دَعنى واياه يا ابن الفاعلة ، والله لأفعلن به ولأصنعن . فلما نظر اليه قال له أبو نواس : انما أنت عربيد ، وجعل لا يدع بلية الا قالها فيه ، ومحمد يضحك . فمما قاله أبو نواس فى ذلك :

نَديمى غيرُ مَنْسوبٍ ... الى شىءٍ من الحَيْفِ :
سقانى ثم حيَّانى ... كفِعْلِ الضَّيْفِ للضَّيْفِ
فلمَّا دارَتِ الخَمْر ... دعا بالنَّطْع والسَّيْفِ
كذا من يَشْرَبُ الماءَ ... مع التِّنِّينِ (١) فى الصَّيْفِ

فأمر له بجائزة ومركب ، وقال له : الزم المنادمة

وروى فى هذه الأبيات غير هذا . وهو أن القاسم بن الرشيد كان ماجناً ، وكان أجمل أهل زمانه . فقال يوماً لأبى نواس : سألتك بالله الا ما صدقتنى عما أسألك . قل اى ! وحياتك ياسيدى . فقال له : أتشتهينى ؟ قال : ما خطر ببالى هذا قط . فقال القاسم : بلى ، قد رأيتك تنظر الىَّ بشهوة . فبحياتى

---

(١) التنين الثعبان العظيم

عليك الا ما صدقتنى. فقال : ياسيدى ما أظن أحد من العباد يراك فيعافك . فقال : يا ابن الفاعلة ! ثم أمر به أن يشد وتضرب عنقه . فأنشأ يقول :

نَديمى غيرُ مَنْسوبٍ الى شَىءٍ من الحَيْفِ

الأبيات

وتروى هذه الأبيات للحسين بن الضحاك الخليع ، يقولها لابراهيم بن المهدى [1]

« أبو نواس وعشقه لكوثر خادم الأمين »

وكان أبو نواس قد تعشق كوثر هذا ، فقال له أصحابه : لم لا تقول الشعر فيه ؟ قال : فالتفت اليهم وقال لهم : يا مجانين ، أما وأنا أروى بيتاً واحداً للنابغة فلا ؟ ثم أنشأ يقول :

أصبحتُ صبًّا ولا أقول : بمَن من خَوْفِ من لايخاف من أحَدِ

إنْ أنا فكَّرتُ فى هواى له حسستُ رأسى قد طار عن جسدى

إنّى على ما ذكرتُ من فَرَقٍ لا آمِلٌ أنْ أنالَه بيَدى

---

(١) وذلك أن الحسين شرب يوما عند ابراهيم بن المهدى ، فجرت بينهما ملاحات فى أمر الدين والمذهب ، فدعا ابراهيم المهدى بالسيف والنطع ، وقد أخذ منه الشراب مأخذه ، فانصرف الحسين وهو غضبان . فكتب اليه ابراهيم يعتذر اليه ويسأله أن يجيئه . فكتب اليه :

نديمى غير منسوب الى شىء من الحيف

الابيات

قال : ولم يعد الى منادمته مدة . ثم ان ابراهيم تحامل عليه ووصله فعاد الى منادمته

(عن الاغانى)

وبيت النابغة الذى عناه أبو نواس هو :

نُبِّئْتُ أنَّ أبا قابوس أوعدنى ولا قَرارَ على زَأْرٍ من الأسَد

« الأمين وسباحته فى بركة قصره واعجاب أبى نواس ببدنه »

وقيل : إن هذه الأبيات التى هى : أصبحت صبًّا ولا أقول : بمن ، انما قالها أبونواس فى محمد الأمين . قالوا : ان أبا نواس كان يشرب يوماً مع الأمين ، فنشط للسباحة ، فلبس ثياب ملاَّح ، ولبس كوثر مثل ذلك ، ووقعا فى البركة ، فنظر أبو نواس الى بدن محمد ، فرأى مالم ير مثله . فلما كان من غد ، جاء الحسين بن المنذر مسلماً عليه. قال الحسين : فسألته عن خبره مع محمد ، فقال : ويلك ! رأيت الفتنة . ثم حدثنى بخبره ، وأنشد هذا الشعر فى محمد الأمين أصبحت صباً ولا أقول : بمن . الأبيات . قال الحسين : فقلت له : ويحك ! اتق الله فى رأسك ، فانه ان بلغه ذلك قتلك ، فأمسك أبو نواس بعد ذلك

« أبو نواس وأبيات قالها أباح الأمين بها دمه »

وقيل : ان الأبيات التى أباح بها الأمين قتل أبى نواس هى :

ياقاتِلَ الرَّجل البَرى ءِ وغاصِباً عِزَّ المُلوك :

كيف السَّبيل لِلَثْم سا لِفَتَيْكَ أو تَقْبيل فِيك ؟

الله يعـــلم أنَّنى أهْوى هَواكَ وأشتهيك!

وأصُدُّ عنك حِذارَ أنْ تَقَع الظُّنونُ علىَّ فيك

إنى أهابُك أن أبو حَ بما أجِنُّ وأتَّقيك

والصحيح أن هذه الأبيات انما قالها أبو نواس فى كوثر خادم الأمين ؛ وكان الأمين معجباً بشعر أبى نواس ، محباً لمنادمته . فلما سمع قوله :

إسْـــقِنيها يادقافَه مُرَّةَ الطَّعْم سُـلافَه
واسقِ رأسَ اللَّهْو والظَّر فِ على يُمن العيافَه
هاتِها جَهْراً ودَعْنى من أحاديثِ خُرافَه
قَهْوةً ذات اُخْتيالٍ سَلِمَتْ من كلِّ آفَه
إنَّ غيرى من قَلاها لرَجاءٍ أو مَخافَه
ذَلَّ بل ضاع الذى يَعْ ذلُ فيها يادقافَه
مِثْل ما ذَلَّتْ وضاعت بعد هارونَ الخِلافَه

حقد عليه الأمين ذلك . فلما أنشد قوله :

وفِتيانِ صِدْقٍ قد صرفْنَ مَطِيَّهم الى بَيْتِ خَمَّارٍ نزلنا به ظُهْرا
فلما حَكى الزُّنّارُ أن ليس مُسْلِماً ظَنَنّا به خَيْراً فَصيَّره شَرا
فقلنا : على دين المسيح بن مَريَم ؟ فأعرض مُزْوَرًّا وقال لنا هُجرا
ولكنْ يهودِىٌّ يُحبك ظاهِراً ويُضمرُ فى المكنون منه لك الغَدْرا
فجاء بها زَيْتِيَّةً ذَهَبِيَّةً فلم نَستَطِعْ دونَ السُّجود لها صَبْرا

خرجْنا على أنّ المُقامَ ثلاثةٌ فطابَتْ لنا حتى أقمْنا بها شَهْرا
عصابة سوء لاترى الدهر مثلهم وإن كنت منهم لابريئاً ولا صِفْرا
اذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم يحُثُّونها حتى تفوتهم سكرا

وسمع أيضاً قوله فى مواضع آخر ، كفَّره وحبسه ، وقال له : أنت زنديق. ولما أحضره وقرره على الزندقة ، قال أبو نواس : لا والله ياسيدى ، ثم أنشده بديهاً

أُصلّى صلاةَ الخمسِ فى حين وقتها وأشْهدُ بالتّوحيد لله خاضعا
وأُحسنُ غُسلاً ان رَكبتُ جنابَةً وان جاءنى المسكين لم أكُ مانعا
وفى كلِّ عامٍ صَوْم شَهْر أُقيمُه وما زلتُ للأنداد والشّرْك خالعا
وإنى وإن حانَتْ من الكأس دَعْوةٌ الى بيعَة السّاقى أجِئْه مسارعا
فأشربُها صِرْفاً على لحم ماعِزٍ وجَدْيٍ كَثير اللّحم أصْبحَ راضِعا
وبيَّض حُوَّارَى وخُبْز وسكَّر فما زال للمَخْمور مذ كان نافعا
وان لاحَ لى صَيْدٌ وثبتُ بنهضةٍ على رِدْفِه فى السِّرِّ كالذِّئب جائعا
وأجعلُ تَخْليطَ الرَّوافِضِ كلّهم لفَقْحَةِ بَخْتَيْشوعَ فى النار طابَعا

قال : فضحك الأمين وقال : ويلك ! كيف أحضرت على بختيشوع ؟ فقال : يا سيدى لم تستقم القافية الا به . فأمر له بجائزة وأطلقه

« احضاره متهما بالزندقة عند الامين وبراءته أمامه »

قال عاصم بن حميد بن تميم الوراق : رأيت أبا نواس وهو فى سراويل ،

والناس يجرُّونه و يضربونه فى قفاه بالنعال ، ويقولون : زنديق ، ويرمونه بالحجارة ، حتى أدخلوه الى محمد بن زبيدة . فقال : ما هذا ؟ قالوا : زنديق . فقال : علىَّ بالسيف والنطع ! فقال أبو نواس : دعونى أصلى ركعتين . فأفرجوا عنه . فتهيأ للصلاة ، ثم رفع رأسه الى السماء وكبر وصلى ركعتين ، وقال :

سُبْحانَ من خلق الخلـــــق من ضَعيفٍ مَهينِ
فساقه من قَرارٍ الى قَرارٍ مكينِ
فى الحُجْبِ شيئاً فشيئاً تَحارُ دون العيونِ
حتى بَدَتْ حَرَكاتٌ مَخْلوقَةٌ من سُكونِ

فقال محمد : ما هذا زنديق . أعطوه ألف درهم واخلعوا عليه . فخرج تحت الخلع ، وطردوا الناس عنه ، وقال : اجروها عليه ، فلم يزل يجريها عليه حتى مات

قال النظَّام : لما سمعت هذه الأبيات نَبَّهتنى لشىء كنت غافلا عنه ، حتى وضعت كتاباً فى الحركة والسكون

« أبياته الى الفضل بن الربيع وهو فى سجنه »

قال ابن حبيب : كنت مع مؤنس بن عمران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع ببغداد . فقال مؤنس : لو دخلنا على أبى نواس فى السجن فسلمنا عليه ؟ ففعلنا . فقال أبو نواس لمؤنس : أين تريد ؟ فقال أريد أبا العباس الفضل بن الربيع ، قال فبلغه رقعة أعطيكها ؟ قال : نعم ، فأعطاه رقعة فيها :

مامن يَدٍ فى الناس واحِدَةٍ كَيَدٍ أبو العبَّاس مَولاها

نامَ البُغاةُ على مضاجعِهم وسَرَى الى نَفْسى فأَحياها
قد كنتُ خِفْتُك ثم أمَّنَنى من أن أخافَكَ خوفُك اللهَ
فعَفَوتَ عنّى عفْوَ مُقْتَدِرٍ وجَبَتْ له نِقَمٌ فألغاها

فكانت هذه الابيات سبب خروجه من السجن

« دخول أبى نواس المسجد وهو سكران ووصوله الى الرشيد متهما بالزَّندقة »

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكران، فمر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة، فدخل فقام فى الصف الاول . فقرأ الامام : (قل يا أيها الكافرون) فقال أبو نواس من خلفه. لبيك : فلما قضيت الصلاة لبّبوه[1] وقالوا له : يا كافر نشهد عليك بالكفر ودفعوه . فبلغ خبره الرشيد . فدعا له حمدوية صاحب الزندقة ، وأحضر أبا نواس فقال له حمدوية يا أمير المؤمنين ! ان هذا ماجن ، وليس هو بحيث يظن ، فقال له الرشيد : ويحك ! انه وقع فى نفسى منه شىء ، فامتحنه . قال : فخط له صورة مانى ، [2] وقال له : ابصق عليها ، فأهوى أبو نواس فيه ليقىء عليها ، فقال له :

---

(١) لببوه : أخذوا بلببه ، وهو موضع القلادة فى الصدر . والمعنى أنهم جمعوا ثيابه عند نحره ثم جروه

(٢) هو مانى بن فاتك الحكيم، الذى ظهر فى زمن سابور ذى الاكتاف بن أزدشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام . اتخذ له دينا بين المجوسية والنصرانية . وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام . حكى محمد بن هرون المعروف بأبى عيسى الوراق ، وكان فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم : أن الحكيم مانى زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وانهما أزليان لم يزالا ولن يزالا . وأنكر وجود شىء الا من أصل قديم . وأنهما لا يزالا قوتين حساستين سميعتين بصيرتين ، وهما مع ذلك فى النفس والصورة ، والفعل ، والتدبير متضادتان ، وفى الحيز متحاذيتان تحاذى الشخص والظل

(عن الملل والنحل للشهرستانى)

حَمْدَوَيْهِ : قد قلت لك يا أمير المؤمنين إنه ماجن . قال : ودعا برجل من الزنادقة مشهور ، وقال له : ابصق عليها ، فقال : وما معنى البصاق ؟ انه من أخلاق الشرك ، ولا أفعله ، وأبى أن يفعل . فقال الرشيد لبعض خدم القصر : امض بهذا (يعنى أبا نواس) الى السّندىّ ، فقل له : أدبه وأطلقه . وبهذا (يعنى الزنديق) فقل له : احبسه قبلك الى أن تستتيبه ، فان تاب والا قتلناه . قال : فمضى بهما الخادم ، فلما صار فى آخر الصحن ، قال أبونواس للخادم : الى اين تذهب بنا ؟ قال : الى السندىّ ، قال : فما تقول له ؟ قال : أقول له : يحبسك قبله حتى تستتاب أو تقتل ، و يؤدب هذا و يطلقه . قال : فرفع أبو نواس يده ولطمه ، وقال له : يا ابن الزانية ، من الساعة نسيت ؟ . و بصر بهم الرشيد ، فقال : ردّوهم . فقال لأبى نواس : ما هذا الذى رأيت منك ؟ قال : أراد والله أن يهلكنى ، ويطرحنى بحيث أنسى أبداً ، أو أبقى مخلدا . سله يا أمير المؤمنين عن الرسالة ، فاذا هو قد غيرها . فضحك من أبى نواس وأطلقه

« إغراق أبى نواس فى المجون واستكراه ابن المكرم لذلك »

قال محمد بن المكرَّم : هذا والله من المجون البارد ، الغث ، الخارج عن حدّ العقل والأدب والاستحسان . ولعمرى : ان الماجن ليتأدّب مع مخلوق مثله اذا كانت له أدنى صورة ، فكيف لا يتأدب مع القدرة الربانية ؟ ولأبى نواس فيما عدا ذلك من المجون مجال متسع

ولقد أدركتنى هذه الصورة ، فتذكرت بها حكاية عجيبة سمعتها . وذلك أننى مررت فى بلاد الغَوْر ، على سُدومَ ومدائن قوم لوط ، والبحيرة المنتنة [1] فرأيت فيها من العبرة ما ذكره الله عز وجل فى كتابه الكريم فى قلبها ، ورأيت عاليها سافلها ، وسافلها عاليها ، وهى فى غاية ما يكون من القتام والظلام والخراب ،

(١) سدوم : قرية قوم لوط . والبحيرة المنتنة هى التى يقال لها البحر الميت

تقشعر منها الجلود ، حتى كأن النار فى أرجائها ، والدخان يتصعد من أنحائها . فتعجبت من ذلك وتعوذت من عذاب الله تعالى . فقال لى شخص من أهل زغر[1] : أطرفك بأعجوبة ما يحكى أعجب منها ؟ فسألته عنها ، فقال : مرَّ رجل فى هذا المكان ، فرأى ما رأيت من هذه المدائن ، فتعجب منها ! وسأل عنها ، فقيل له : هذه مدائن قوم لوط ، فقال : هاه ! هذه مدائن أصحابنا ، فما استتم كلامه حتى غاصت به الأرض وابتلعته ، فكأن لم يكن فى موضعه أحد . فليت شعرى ؟ ما الحامل لأبى نواس على هذا المجون المملوء بالتهكم بالربوبية ؟ نعوذ بالله من خذلانه ، ونستغفر الله رب العالمين

« اجتماع أبى نواس برزين الكاتب وعلى بن الخليل واستنجاده بابليس فى قضاء حاجته »

قال رزين الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نواس وعلى بن الخليل فى سوق الكَرْخ ، وكنا نجتمع ونتناشد الأشعار ونتذاكر الأخبار ، ونتحدَّث بها . فقال أبو نواس : أدبر من كان فى نفسى ، وكان أسرع الخلق الى طاعتى ، فما أدرى ما أحتال له ؟ فقال على بن الخليل يمازحه : يا أبا على ! سل شيخك وأستاذك يعطفه عليك . فقال له أبو نواس : من تعنى ؟ قال : من أنت فى طاعته ليلك ونهارك (يعنى إبليس) فان لم يقض لك هذه الحاجة ، فما ينبغى لك أن تسأله مسألةً ، ولا أن تقرَّ عينه بمعصية . فقال : هو أسدّ لرأيه من أن يخلَّ بى ، أو يخذلنى . وانقضى مجلسنا ذلك . فلما كان بعد أيام اجتمعنا فى ذلك الموضع ، وأخذنا فى

---

(١) زغر اسم بنت لوط عليه السلام ، وبها سميت زغر بلدة بالشام ، لانها نزلت بها وبها عين فغار ماؤها

أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ، فقلنا له : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول على ابن الخليل يومئذ : سل شيخك يعطفه عليك . حينئذ قد سألته يا أبا الحسن ، فقضى الحاجة ، وما مضت والله ثالثة حتى أتانى من غير أن أبعث اليه ، ومن غير أن أستزيره ، فعاتبنى واسترضانى ، وكان الغضب منه والتجنّى ، وأحسب الشيخ (يعنى إبليس) كان يتسمع علينا فى وقت كلامنا . وقد قلت أبياتا فى ذلك . فقلنا : هاتها ، فأنشد :

لمّا جفانى الحبيبُ وامْتَنعتْ ... عنّى الرّسالاتُ منه والخَبَرُ

إشْتَدَّ شَوْقى فكاد يقتلنى ... ذِكْرُ حبيبى والْهَمُّ والفِكَرُ

دعوتُ إبليسَ ثم قلتُ له ... فى خَلْوةٍ والدموع تنْحَدِرُ :

أما ترى كيف قد بُليتُ وقد ... أقْرَحَ جفْنى البُكاءُ والسَّهَرُ ؟

إنْ أنتَ لم تُلْقِ لى المَوَدَّةَ فى ... صَدْرِ حبيبى وأنت مُقْتَدِرُ :

لاقلتُ شعراً ، ولاسمعتُ غِنا ، ... ولاجَرَى فى مَفاصلى السُّكرُ ،

ولا أزالُ القُرآنُ أدْرُسُه ... أروح فى دَرْسِهِ وأبْتَكِرُ ،

وألْزَمُ الصَّومَ والصَّلاةَ ، ولا ... أزالُ دَهْرى بالخَيْرِ أأْتَمِرُ ،

فما مَضتْ بعد ذاك ثالثةٌ ... حتى أتانى الحبيبُ يَعْتَذِرُ ،

ويطلبُ الوُدَّ والوِصالَ على ... أفضلِ ما كان قَبْلُ يَهْتَجِرُ

فيالَها مِنَّة لقد عَظُمَتْ ... عندى لابْليسَ مالها خَطَرُ

« أبو نواس ينكر البعث فى شعره ثم يعتذر عن ذلك بفرط مجونه »

قال الحسن بن أبى المنذر : كان أبو نواس يشرب عند عبيد بن المنذر ، وبات ليلته ، ثم قال : لا بد لى من عمى (؟) ، فقدموا بنا . فأتيناها ودخلنا حانة خمار قد كان يعرفه ، ومعه غلام كان قد أفسده على أبويه ، وغيبه عنهما زمانا ، ونحن فى أطيب موضع . فذكرنا بما نحن فيه من الطيب والنعيم ، نعيم الجنة وطيبها ، والمعاصى وما يحول عنه منها ، وهو ساكت ، فقال :

يا ناظِراً فى الدِّينِ ما الأَمر ؟ لا قَدَرٌ صَحَّ ولا جَبْرُ
ماصحَّ عندى من جميع الذى يُذْكَرَ الا المَوْتُ والقَبْر !!

فامتعضنا من قوله ، وأطلنا توبيخه ، وأعلمناه أننا ننحرف عن صحبته . فقال : ويلكم ! والله انى لأعلم ما تقولون ، ولكن المجون يفرط على ، وأرجو أن أتوب فيرحمنى الله تعالى ، ثم قال :

أَيَّةُ نارٍ قَدَحَ القادِحُ ؟ وأىُّ جِدٍّ بَلَغَ المازِحُ ؟
للهِ دَرُّ الشَّيْبِ من واعِظٍ ونَاصِحٍ لو خُطِىءَ النَاصِحُ !!
يأْبَى الفَتَى إلاَّ اتِّباع الهَوَى ومَنْهَجُ الحَقِّ له واضِحُ
فاعْمَد بعينيك الى نِسوَةٍ مُهورُهُنَّ العملُ الصَّالِح
لا يَجتَلِى العَذْراءَ من خِدْرِها الا امْرؤٌ ميزانه راجِح

مَنِ اتَّقى اللهَ فذاكَ الذى سِيقَ اليه المَتْجَرَ الرَّابح
شَمِّرْ فما فى الدِّينِ أَغْلوطَةٌ ورُحْ بما أنت له رائِحُ

ثم قال : هذا هو عمل الشيطان ألقى الزهد بهذا الكلام ليفسد يومكم . فكم نزل فى أطيب موضع ؟ فلما أردنا الانصراف ، قال : أمهلوا ، ثم أنشدنا :

يارُبَّ مجلسِ فِتيانٍ لَهَوتُ به والليلُ مُسْتَخْلَسٌ فى ثوب ظَلْماء
تَشِفُّ صافيةً من صَدْر خابِيَةٍ تُعْشى عُيونَ نَداماها بِلَأْلاء

وكان الجاحظ يقول : لا أعرف من كلام الشعراء كلاما هو أرفع ولا أحسن من قول أبى نواس : أية نار قدح القادح

« أبو نواس وأيام الربيع »

قال سليمان بن أبى سهل : مرَّ بى أبو نواس فى يوم من أيام الربيع ، وقد طشت السماء . فلما دخل من الباب لم يكلمنى حتى قال :

ما مِثْلُ هذا اليوم فى طيبِهِ عُطِّل من لَهْوٍ ولا ضُيِّعا
فما تَرى فيه ؟ وماذا الذى تُحِبُّ فى ذا اليَوْم أنْ تَصنَعا ؟
هل لك أن تَغْدُو على قَهْوةٍ تُسْرِعُ فى المرْءِ اذا أسْرَعَا ؟
ما وَجَد الناس ولا جَرَّبوا لِلْهَمِّ شيئاً مِثْلَها مَدْفَعَا

قال : فقلت له : ما كان يسعدنى فى هذا اليوم غيرك . أقم ، فعندنا كل ما تحتاج اليه : فاقام عندنا يومه ، فلما كان فى السحر وقد أفرط عليه السكر حتى ظننته

لا يطيق انشاداً ، فقال : ياسليمان ! اسمع ، وأنشد :

ولَيْس بعـد المماتِ مرتجعٌ وانما الموتُ بَيْضَةَ العقرِ (١)

ثم قال : اكتم عنى ، فالمجالس بالأمانة

« أبو نواس يعلّم الأمين الشعر النادر والغريب بحضرة الكسائى وما جرىٰ له معه »

قال ابراهيم بن محمد الكرخى : أرسل الى سليمان بن أبى سهل بن نوبَخْت : إن أبا نواس عندنا ، فصر الينا ، فانى أحسبك لا تراه بعد اليوم . فلم ألبث أن جاء أبو نواس ، فدخل وعليه دراعة وشى كوفى ، وقلنسوة مارأيت أحسن منها ، واذا العلة قد بلغت به ، فهو فى آخر رمقه ، فلم يجد أوسع من الموضع الذى أنا فيـه ، فجلس الى جانبى ، فقلت له : يا أباعلى ! ما رأيتك لبست مثل هذا الا اليوم ، فقال لى : أو ما تعرف قضيته ؟ قلت : لا والله ، وما هى ؟ قال أمر الرشيد الكسائى أن يختلف الى محمد بعد ما ولاه العهد ، وأمره أن يلزمه ، وأن يحضرنى اذا حضر ، لأنشد محمداً الشعر النادر ، وأحدثه الغريب . فكنت أفعل ، وكان خادم من قبل الرشيد موكلا بمحمد . فجرى بين الخادم وبين محمد يوما كلام وأنا حاضر ، فقال محمـد : يا أبا نواس أهج هذا الخادم ابن الفاعلة . قال : فقلت : نعم ياسيدى ، وقلت فى نفسى : قد وقعت فى بلية : ان هجوت الخادم خفت أن يغتابنى عند الرشيد فيقتلنى ، وان لم أفعل خفت محمداً أن يقتلنى . فانصرفت على أن أهجو الخادم ، فلم أرجع أياما

---

(١) بيضة العقر : بيضة يبيضها الديك مرة واحدة ثم لا يعود ، كنى بذلك عما يعتقده من انكار البعث . وقد ذكرت هذه الحكاية ببعض تغيير فيما مضى من هذا الكتاب عن أحمد ابن العباس بن الحكم

فما علمت الا والكسائى قد وافانى ، فقال لى : ويلك ! ان محمداً الأمين يتهدَّدك بالقتل ان لم تهج الخادم . فقلت : يا أبا الحسن ! ما يحتال لى فى هذا غيرك . فقال : أنا صائر اليه ومصلح بين الخادم و بينه ، فاذا فعلت أخبرته أننى لقيتك الساعة منصرفا من دار العباس بن موسى الهادى ، وأنك عند خروجك من عندنا لقيك فأخذك أسيرا ، فمضى بك الى منزله ، فلم يدعك الا فى هذا اليوم ، فانه سيبعث اليك فيحضرك ، فلا تبرح من منزلك . ثم مضى الكسائى فأصلح بينه و بين الخادم ، وأخبره بما قال لى ، فبعث الىَّ محمد فحضرت اليه ، وقلت له مثل ما قال الكسائى ، ثم قلت له : و بلغنى أنك تهددنى بالقتل ، فقال : نعم ، فلما بلغك أنى تهددتك بالقتل ما قلت فى ذلك ؟ فحضرنى على المكان :

بِك أستَجِير من الرَّدَى وأعُوذ من سَطَوَات باسِك !!
وَحياةِ رَاسِكَ لا أعو دُ لِمِثْلِها وَحياةِ رَاسِكْ
فاذا قَتَلْتَ أبا نُوَا سك من يكون أبا نواسك

فتبسم ، ثم قال : لا يكون . يا غلام ! اذهب الى فلان الخادم ، فقل له : ابعث بالتَّخْت الذى بعثت به البارحة سيدتى أم جعفر . فذهب الغلام فجاء بالتخت فدفعه الىَّ وانصرف فكان فيه ثياب وشى هذا أحدها ، والآخر احتجت الى ثمنه فبعته ، وقطعت هذه الدرَّاعة والقلنسوة ، واحتجت الى أن رهنت الدرَّاعة فلما بلغت من العلة الى ما ترى ، قلت : أنعم نفسى بلبس هذه الدرَّاعة فافتككتها ولبستها . وفارقته فى ذلك اليوم ، فما رأيته بعده

ومما قاله فى هذا المعنى وعاتب الأمين به :

قُلْ للخليفة : إنَّنى حَسبى أراكَ بكُلِّ ناسِ :

مَنْ ذا يكون أبا نُوا سِكَ ان حَبَستَ أبا نُواسِ ؟
أقْصَيْتَه ونَســـيتَه ولعَهْدِهِ بك غيرُ ناسِ
قد كنتُ آمُلُ غير ذا لو كنتَ تُنْصِفُ فى القياسِ
إنْ أنتَ لم تَرفَعَ به رَأْساً هُدِيتَ فنِصْفَ رَاسِ

فلما سمع العتابى بذلك ، قال له : يا ابن كذا ، ما أحسن نصف رأس خليفة ترفع ! فقال له أبو نواس : جعلنى الله فداك يا أبا عمرو ، لا تنبهن على ذنبى فتهلكنى . ثم قال له العتابى : هذا عندى من الشعر الذى لا يخاطب به الخلفاء ، ولا يخاطب به الا من لا أستحسن ذكره ، فان عليه أمائر الفسق والتخانث

« الكسائى يعلم الأمين النحو ، وتردّد أبى نواس عليه وطلبه من الكسائى العبث بالأمين »

كان أبو نواس يختلف الى محمد بن زبيدة ، وكان الكسائى يعلمه النحو . فقال أبونواس للكسائى : انى أريد أن أقبل هذا . فقال له الكسائى : ان علىّ فى هذا وصمة وأكره أن يبلغ هذا أمير المؤمنين . فقال له أبونواس : انك ان تركتنى أقبله ، والا قلت فيك أبياتا ورفعتها الى الرشيد ، فأبى عليه الكسائى وظن أنه لا يفعل . فكتب أبو نواس فى رقعة :

قُلْ للأمير جزاك الله صـــالحة
لا يجْمَعَ الدَّهْرُ بين السَّخْلِ (١) والذيب

(١) السخل ولد الشاة

السَّخْلُ غِرٌّ وهَمُّ الذِّئْبِ غَفْلَتُه والذِّئْبُ يعلم ما فى السَّخْلِ من طيب

ويروى : السخل يعلم أن الذئب آكله

ودفعها الى بعض الخدم ليوصلها الى الرشيد ، فجاء بها الخادم الى الكسائى ، فلما قرأها علم أنها من شعر أبى نواس ، وأنه لا يقلع عنه الا بقضاء حاجته . فلما جاء أبو نواس فى الغد وهو لا يشك فى وصول رقعته الى الرشيد ، قال له الكسائى ويحك ! هذا أمر عظيم ، وأخاف أن يلحقنى منه مكروه ، ولكنى سأتلطف لك فغب عنا أياماً ثم احضر ، كأنك قادم من غيبة ، وسلم علىَّ وعلى محمد ، فانى أسلم عليك وأعانقك ، ويسلم عليك محمد ويعانقك ، فتكون قد قبلته ، ولم ينكر عليك ولا علىَّ ، وتبلغ حاجتك . فلما قدم ، تحدث الكسائى أن أبا نواس كان غائباً ثم حضر ، فقام اليه الكسائى وسلم عليه وعانقه ، وسلم أبو نواس على محمد وقبله وقال أبو نواس فى ذلك :

قد أحدَثَ الناسُ ظَرْفا يَعْلُو على كلِّ ظَرْفِ
كانوا اذا ما تَلاقَوْا تَصافَحوا بالأَكُفِّ
فأَحْدثوا اليومَ رَشْفَ الـ خدود، والرَّشْفُ يَشْفى
فَصِرْتَ تَأْثم من شـ ـئْتَ من طَريق التَّخَفِّى
وصار رَشْفٌ وبَوْسٌ وذاك يَشْفى ويَكْفى
والحمـــدُ لله هذا من بَعْضِ لَهْوى وقَصْفى

قال الصولى : ومن هذا المعنى قوله :

قِفْ لنا فى الطّريق ان لم تَزُرْنا وَقْفَةٌ فى الطريق نِصْفُ الزّياره

قال ابن طاهر : وهذا الحديث مصنوع باطل ، لان أبناء الخلفاء فى مثل حال المخلوع أجل مكاناً أن يعانقوا أحداً من الرعية

وقد ذكر هذا الشعر لعبد الصمد بن المعذّل[١] وأخبرنى أبو على الفضل ابن جعفر بن الفضل المعروف بالنصير أنه له وأنه قاله وهو فى الكوفة فى حداثة سنه

قدوم أبى نواس الى مصر

« ومدحه للخصيب »

لما قدم أبو نواس على الخصيب[٢] بمصر أذن له ، وعنده جماعة من الشعراء فاستنشده ، فقال له : هنا جماعة من الشعراء ، هم أقدم منى وأسن ، فأْذَنْ لهم فى الانشاد ، فان كان شعرى نظير أشعارهم أنشدت والا أمسكت . فاستنشدهم الخصيب ، فأنشدوا مديحاً فى الخصيب ، فلم تكن أشعارهم مقاربة لشعر أبى نواس . فتبسم أبو نواس ثم قال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هى بمنزلة عصا موسى تتلقف ما يأفكون . قال هات ، فأنشده قصيدته التى أولها :[٣]

---

(١) هو ابو القاسم عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البحترى بن المختار بن ذريح بن أوس بن همام بن ربيعة بن بشير بن حمران . ينتهى نسبه الى أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وهو شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية مصرى المولد والمنشأ . وكان هجاء خبيث اللسان شديد العارضة (عن الاغانى)

(٢) هو الخصيب بن عبد الحميد العجمى أمير مصر على الخراج . واليه تنسب منية الخصيب بالوجه القبلى وليس بابن صاحب نهر أبى الخصيب ، ذاك عبد المنصور يقال له : مرزوق . وكان هذا رئيساً فى أراضيه . فانتقل الى بغداد وصار كاتب مهرويه الرازى ، ثم انتقل الى الامارة (عن الديوان)

(٣) وفى الديوان ، قال : لما قدم أبو نواس على الخصيب صادف فى مجلسه جماعة من الشعراء ينشدونه مدائح فيه ، فلما فرغوا ، قال الخصيب لابى نواس : الا تنشدنا يا أبا على ؟

أجارَةَ بَيْتَيْنا أبوكِ غَيورُ ومَيْسورُ ما يُرْجى لديكِ عسيرُ

حتى أتى على آخرها ، فانفض الشعراء من حوله

ويقال ان أبا نواس كان خرج الى مصر فى زى الشطار[1] وتقطيعهم بُطرَّة قد صفقها وكُمّين واسعين ، وذيل مجرور ونعل مطبق . وكان خروجه مع سليمان ابن أبى سهل ، فلما دخل على الخصيب بهذه الصورة ازدراه واستخف به ، وكان تورد عليه كتب الجلة ممن بباب السلطان ، ووردت كتب ابى نواس فيها فقرأها ولم يستنشده ، فانصرف مهموماً . وجاءه أهل الادب ، فاستمعوا شعره وكتبوه وأنشدوه للخصيب ، فاستحضره فانشده :

أجارَةَ بَيْتَيْنا أبوكِ غَيورُ ومَيْسور ما يُرْجى لديك عسير

فان كنت لاخِلْما ولا أنت زوجة فلا بَرَحَتْ دونى عليك سُتور

وجاورت قوماً لا تَزاوُرَ بينهم ولا وَصْلَ الا أن يكون نشور

فما أنا بالمشْغوف ضَرْبةَ لازِبٍ ولا كلُّ سلْطانٍ علىَّ قدير

وانى لِطَرف العَيْن بالعين زاجرٌ فقد كِدْتُ لا يخفى علىَّ ضمير

كما نظرت والرّيح ساكِنَةٌ لها عقاب بأرساغ اليَدَيْنِ نُدور

طوت ليلتين القوت عن ذى ضرورة أُزَيْغِبَ لم يَنْبُتْ عليه شكير

فأَوفَت على عَلْياءَ حين بدا لها من الشّمس قَرْنٌ والضَّريب يمور

فقال : أنشدك أيها الامير قصيدة هى بمنزلة عصا موسى تتلقف ما يأفكون : قال له : هاتها إذاً ، فأنشده هذه القصيدة ، فاهتز لها وأمر له بجائزة سنية

(١) الشطار جمع شاطر وهو من أعيى أهله خبثاً

تُقَلِّبُ طَرْفاً فى حجاجَىْ مغارةٍ من الرَّأسِ لم يَدْخل عليه ذُرورُ

ولما قال أبو نواس :

تقول التى من بَيتها خَفَّ مركبى : عَزيزٌ علينا أن نراك تَسيرُ
أما دون مِصرٍ للغنى مُتَطَلَّبٌ ؟ بَلى إنَّ أسباب الغنى لكثير ؟
فقلت لها واستَعجلتها بَوادِر جرت فجرَى فى جريهنّ عَبير
ذرِينى أكُبّر حاسديك برحلةٍ الى بَلَدٍ فيه الخَصيبُ أميرُ

قال له الخصيب : اذاً يكثر حسادُها وتبلغ أملها ، وأمر له بألف دينار

وتمامها :

إذا لم تَزُر أرض الخَصيب ركابنا فأَىّ فتًى بعد الخَصيب تَزور ؟
فما جازَه جودٌ ولا حَلَّ دونَه ولكِن يصيرُ الجودُ حيْث يصير
فتًى يَشْترى حُسْن الثَّناء بماله ويَعلم أنَّ الدَّائِراتِ تَدور
ولم تَرعَينى سُؤْدُداً مِثْل سُؤْدُدٍ يَحِلُّ أبو نَصْر به ويسير ! !
وأطْرق حَيَّات البلاد لَحيَّةٍ خَصيبيَّةِ التَّصميم حين تَسور
سَمَوْت لأهل الجوْر فى حال أمْنِهم فأَضْحَوْا وكل فى الوَثاقِ أسير
اذا قام غنته على السَّاقِ حِلْيةٌ لها خَطْوُهُ عند القيام قَصير
فمن يَكُ أمْسى جاهلاً بمقالتى فانَّ أمير المؤمنين خبير
فما زلت تُوليه النَّصيحةَ يافعا الى أن بدا فى العارضَيْن قَتير

إذا غاله أمرٌ : فاما كفيتَهُ ... وإمَّا عليه بالكفاءِ تُشير

إليك رَمَتْ بالقوم هوجٌ كأنما ... جماجمها تحت الرِّحال قبور

رَحَلْنَ بنا من عُقْرِقوفٍ وقد بدا ... من الصبح مفتوق الأديم شهير

فما نَجَدَتْ بالماء حتى رأيتها ... مع الشمس فى عَيْنَىْ أُباغَ تغور

وغُمِّرْنَ من ماء النقيب بشَرْبة ... وقد حان من ديك الصَّباح زَمير

ووافيْنَ إشْراقاً كنائس تَدْمُرٍ ... وهُنَّ الى رُعن المدخّن صور

يؤمِّمْنَ أهل الغُوطَتيْن كأنَّما ... لها عند أهل الغُوطتين ثؤور

واصبحن بالجولان يرضَخن صخرها ... ولم يَبقَ من أجرامِهنَّ شُطور

وقاسَينَ ليلاً دونَ بَيسانَ لم يَكَد ... سنا صُبحِهِ للناظرين يُنير

وأصبحنَ قد فوَّزْنَ من نَهْرِ فطْرسٍ ... وهُنَّ عن البَيتِ المُقَدَّس زور

طوالبُ بالرِّ كْبانِ غزَّةَ هاشِم ... وفى الفرَما من حاجَهُنَّ شُقور

ولما أتَتْ فُسطاطَ مِصرَ أجارَها ... على رَكْبها أن لاتَزال مُجير

من القَومِ بَسَّامٌ كأنّ جبينه ... سَنَا الفَجر يَسرى ضَوءُه ويُنير

زها بالخصيب السيف والرمح فى الوغى ... وفى السِّلم يَزْهو مِنْبرٌ وسرير

جَوادٌ اذا الأيْدى كَفَفْنَ عن الندى ... ومن دُونِ عورات النساء غيور

له سَلَفٌ فى الأعجمين كأنهم ... إذا استؤذنوا يَومَ السَّلامِ بدور

وإنى جديرٌ اذ بَلَغْتكَ بالمنى وأنتَ بما أمَّلْتُ منكَ جَدير
فإنْ تولنى منْكَ الجميلَ فأهله وإلاّ فإنى عاذرٌ وشكور

فلما كان من غد ذلك اليوم الذى دخل فيه ابو نواس . دخل اليه ايضاً كذلك وأنشده :

يامنّةً امتَنَّها السُّكْرُ ما يَنْقَضى منّى لَكِ الشُّكْرُ
أعطَتْكَ فوق مناك من قُبل قد كان قيل : مرامُها وَعر
يَثْنى اليك بها سوالفه رَشأٌ صِناعَةُ عَيْنِه السِّحر
ظَلَتْ حُمَيَّا الكأسِ تَبسُطنا حتى تَهَتَّكَ بيننا السِّتر
فى مجْلسٍ ضَحِكَ السّرور به عَنْ ناجِذَيه وحَلت الخَمْر

قوله : وحلت الخمر . كان قد حلف أن لا يشرب حتى يواصله من تشبب به ، فواصله فقال : وحلت الخمر

ولقد تجوب بنا الفَلاةَ إذا صامَ النَّهار وقالتِ العفْرُ
شَدَنيَّةٌ رَعت الحِمَى فأتت مِلْءَ الجبال كأنَّها قَصْر
تَثنى على الحاذَينِ ذا خُصَل تَعالُه الشَّذَرانُ والخطْر
أما اذا رَفَعَته شامِذَةً فتقول : رَنَّق فوقها نَسر
أما اذا وضَعَتْه عارِضةً فتقول : أُرخِىَ فوقها سِتْر
وتسِفُّ أحيانا فتحسَبها مُترسما يَقتاده أثْر

فاذا قصرْت لها الزِّمامَ سما ... فوق المقادم ملطمٌ حرُّ

فكأنها مُصْغٍ لتُسمِعَهُ ... بَعض الحديث بأُذْنه وَقْرُ

تنفى الشَّذا عنها بذا خُصلٍ ... وَحفِ السَّبيب يَزينه الضَّفر

تُثْرِى لإنفاضٍ أضرَّ بها ... جَدبُ البُرَى فَخدودها صُفْر

يرمى اليك بها بنو أمَلٍ ... عَتبوا فأَعتبَهم بِكَ الدَّهر

أنت الخصيب وهذهِ مِصر ... فتدفّقا فِكلاكما بحر !!!

لاتقعدَا بى عن مدى أملى ... شيئاً فما لكما به عذر

ويحقّ لى إذ صرتُ بينكما ... أن لا يحلَّ بساحتى فقر

النِّيل يَنعِش ماؤه مصراً ... الغَمْرُ ونداك ينعش أهله

ولما قال له : أنت الخصيب وهذه مصر ، الى آخر القصيدة ، قال له الخصيب اذاً لا يخيب أملك ، ولا ينقطع مرادك ، ثم أمر له بألف دينار أخرى ، فقبض الالفين ثم كر عليه فى اليوم الثالث فأنشده :

مَنَحْتُكم يا أهل مصرَ نصيحتى ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

ولا تثبوا وثب السُّفاةِ فتحملوا ... على حدِّ حامى الظّهر غير ركوب (١)

فإن يك باقٍ إفك فِرعَونَ فيكم ... فإنّ عصا موسى بكفِّ خصيب

رماكم أمير المؤمنين بحيةٍ ... اكولٍ لحيات البلاد شروب (٢)

---

(١) السفاة بالضم الحية . وقوله : على حد حامى الظهر الخ البيت يريد به السيف

(٢) قال جامع ديوان أبى نواس ، الامام أبو عبد الله حمزة بن الحسن الاصبهانى : حدث معاوية بن صالح الطبرانى ، قال : ماج الناس بمصر ، فبلغ ذلك الخصيب وهو يشرب مع أبى نواس ،

وكان أهل مصر قد شنعوا على الخصيب لزيادة فى أسعارهم ، وكان على شَرْبه ، وعنده أبو نواس فوثب أبو نواس وقال : دعنى أيها الامير أكلمهم ، فقال: ذاك اليك ! فخرج حتى وافى المسجد الجامع ، وقد تواعدوا ان يجتمعوا فيه ، فأنشد هذه الابيات . ويقال : انه ارتجلها على المنبر ، فلما سمعها من اجتمع تفرقوا فلم يبق أحد منهم . وعاد الى مجلس الخصيب فأمر له بألف دينار أخرى ، وقال له ارتحل فما لك عندنا مقام وزوده من طرائف مصر ، ووهب له جارية

فقال أبو نواس : دعنى أيها الامير أسكتهم فقال له : ذاك اليك فخرج أبو نواس حتى وافى المسجد الجامع ، فصعد على المنبر ، واعتمد على عضادتيه ، وحول وجهه للناس ، وعليه ثياب مشمرات فقال :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتى ألا فخذوا من ناصح بنصيب

الى آخر القصيدة فتفرق الناس ، ولم يجتمعوا بعد

وحدث الحسن بن على العنزى ، قال : حدثنى بعض الرواة عن مطيع خادم البرامكة قال : كنت واقفاً على رأس الرشيد اذ دخل أبو نواس فقال له : انشدنى قولك فى الخصيب أمير مصر :

فان يك باق افك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

فأنشده فقال ألا قلت : فباق عصا موسى بكف خصيب ؟ . فقال أبو نواس : هذا أحسن ولكنه لم يقل لى

وحكى اسماعيل بن سباط ، قال : لما قال أبو نواس : منحتكم يا أهل مصر نصيحتى ، رأى الخصيب فى المنام قائلا يقول : يا خصيب ما فوق هذا المدح مدح فقال : فما جزاؤه ؟ قال : نبحة كلب ! قال : وما نبحة كلب ؟ قال : ألف ! قال : من أى الحجرين ؟ قال : من الصفر ! فلما أصبح صبح أبا نواس بألف دينار ، فقال أبو نواس :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدافقا فكلاكما بحر

ثم جعله قصيدة

قال ابن قتيبة : لما قال أبو نواس :

فان يك باق افك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

طلبه الرشيد وقال له : يا ابن اللخناء : أنت المستخف بنبى الله موسى عليه السلام : وقال لابراهيم بن مهيك لتقتلنه بين عسكرى من ليلته . فقال : ابو نواس ياسيدى ، ان لم يكن أجل فاجل ثمود ! فضحك الرشيد وقال له : فأجله ثلاثاً ، فبعث الامين الى ابراهيم وقال له : لئن مسست شعرة منه لاقتلنك . فاقام عند ابراهيم حتى مات الرشيد فأخرجه محمد سنة ١٩٩ هـ وهو ابن اثنتين وخمسين سنة اه . قال أبو عبد الله حمزة : وقد غلط ابن قتيبة فى التاريخ لان الامين تولى الخلافة سنة ١٩٣ هـ فى جمادى الاخرة

حسناء ووصيفا نظيفا ، وقال : ارتحلهما فى طريقك وتزود منهما فى مقامك

« أبو نواس وجارية وغلام أهداهما اليه الخصيب »

قدم بعض التجار من الروم بغلمان فعرضوا على الخصيب ، فاذا فيهم غلام بديع الحسن فريد الجمال ، فقال الخصيب : على بأبى نواس فحضر فأراه الغلام وقال أرأيت من وصفت من الغلمان مثل هذا قط ؟ قال : لا قال : فهو لك . فأخذه ثم مكث يسيرا ، فأتى بعض التجار ايضاً ومعه جوار روميات ، بديعات الحسن ، غريبات الجمال ، فعرضن عليه فاذا فيهن وصيفة غلامية عجيبة ، أحسن من فيهن فدعا ابونواس فقال أرأيت فى الغلاميات التى وصفتهن مثل هذه قط ؟ قال لا : قال : هى لك فمضى بهما ، وكان الناس يتعجبون من جمالهما فكان اذا خرج من منزله أخرجهما معه ، واذا دخل ادخلهما معه وطال عليه ذلك ، فدعا غلامه وقال له : قد زوجتك بها فعذله أصحابه وعنفوه وقالوا : قد ضيعتها وكنت احق بها منه مع كثرة ثمنها فقال : انى قد دبرت امرهما فاحسنت التدبير ، لأنى لا أعف عنهما وهذان اذا نظر احدهما الى الآخر ، لم يصبر ان يجتمعا ، فاردت ان ازوجه بها لتكون امرأته واكشحه انا فيها ، وذلك احب الى من ان تكون جاريتى ويكشحنى هو فيها

قال الرشيد يوما لأبى نواس : انشدنى قولك فى الخصيب :

منحتكم يا أهل مصر مودتى . فأنشده اياها ، فلما بلغ الى قوله :

فانْ يَكُ باقٍ إفْكُ فِرْعَونَ فيكمُ فانَّ عَصاموسى بكفٍّ خَصيب !

قال له الرشيد : الا قلت : فباقى عصا موسى بكف خصيب ؟ فقال له هذا يا امير المؤمنين احسن ، ولكنه لم يقع لى

وقيل ان ابا نواس انما كان امتدح الخصيب بقصيدته التى هى :

لم تَدرِ جارَتنا ولا تَدرى أنَّ الملامة ربَّما تُغْرِى
هبَّت تَلومك غير عاذِرَةٍ ولقد تَرىٰ لك واضح العُذْرِ
واستَبْعدت مصراً وما بعدت أرضٌ يكون بها أبو نصرِ !!!
ولقد وَصَلْتُ بك الرجاءَ ، ولى مندوحةٌ لو شِئتُ عن مصر
فيما تُنَافِسُهُ الملوكُ من الـ حور الحِسانِ ، وعاتِق الخمر ،
ومُحدّثٍ كَثرت طَرائفه عانٍ لَدىَّ لقلَّةِ الوَفْرِ :
إنى لآمل ياخصيبُ على يدك السَّعادة آخرَ الدَّهر
وكذاك نعم السوق أنت لمن كسَدت عليه تِجارة الشِّعر
أنت المُبَرِّزُ يوم سَبْقِهِمُ إن الجَواد بِعَرْفه يجرى
عرَف الخليفةُ أنَّ نعمتَه حلَّت بساحَة طيِّب النَّشْرِ
كافٍ اذا عَصَبَ الأُمورُ به ، ماضى العزيمةِ طَيِّب الذّكر !!!
فانقَع بِسَيْبِكَ غُلَّةً نَزَحت بى عن بلادى وارْتَهنْ شكْرِى !!!

فلما انشده اياها بكاملها أمره ان يقيم عنده ، فلم تطب نفسه بالمقام

وقيل ان أبا نواس سئل : كم وهب الخصيب مع مدائحك فيه ، وقَصْدك من العراق اليه ؟ فقال : لا والله لم يهب لى الا مائة دينار ، والناس يكثرون فى ذلك

« أبو نواس والنَّضْر بن أمية الشاعر »

قال النَّضر بن أمية الحمصى الشاعر : لما خرج أبو نواس الى مصر ، كتب

الناس الينا بذلك ، فلم نزل نرقبه حتى قيل لنا : قد قدم . فجئت الخان لأسأل عن خبره فاذا انسان قاعد على درجة ، متَّشِحٌ بخَلُوقِيَّةٍ يستاك ، فدنوت منه ، فقلت : يافتى ، انسان قدم من العراق يقال له أبو نواس ، وكان معى ابنٌ لى حسن الوجه جداً ، فقال : ماتجعل لمن يدلُّك عليه ؟ قلت : حكمه ، قال : قبلة من هذا الغزال الذى معك ؟ قلت له : وَيْحك ! هذا ابنى ، قال : آدمُ خير منك ، والناس يقبلون بنيه ويلاعبونهم . فقلت له : أنت أبو نواس ؟ قال : أنا هو . فمن أين عرفتنى ؟ قلت : بنور الايمان ، قال : لاوالله ، ولكن بظلمة الكفر ، فمرحباً بك . فما زلت أنادِمه وما فارقته حتى ارتحل عن حمص وشيعته

« أبو نواس ومعاوية بن حديج الطبيب المصرى »

كان معاوية بن حدَيْج من أهل مصر ، وكان عالما فيلسوفا فقال له أبو نواس يهجوه :

كلنا يا ابنَ حُدَيج ... لك فى العلم خَوَلْ
غير أنَّ الطبَّ أولى ... بك من كل عمل
أنت فيه فيلسوفٌ ... وبَصيرٌ بالعلَل
فلمَ الأَير خفيفٌ ... فإذا قام ثقل
فاذا أفرغَ ما فيـ ... ـه تَدَلَّى وذبل
أحديث ذاك فيه ... أم قديمٌ لم يزَل ؟
ولم الرّهزُ لذيذ ... عند تكرار العمل ؟
فاذا اللذّة تمت ... نَكَسَ الأَير وكلْ

« أبو نواس وتفرغه لغلمان مصر »

« وحكايته مع الفتيان الثلاثة »

وقيل : إن أبا نواس اكتسب من مال الخصيب بمدحه وقصائده فى مدحه ألف دينار ، واكتسب بجاهه ألفى دينار ، فتفرغ لغلمان مصر ، وشرب الخمر وأحب أن يتلذذ بمصر ، وأنفق مما نال قطعةً صالحة بمصر ، وأقام بها سنة بعد قضاء حوائجه فى لهوه وباطله . فبينما هو يدور فى أسواق مصر ، وبها يومئذ ثلاثة غلمان أقران أخدان ، حسانُ الوجوه كأنهم الأقمار ، أصحاب ظَرَفٍ وأدب ومُروءة وحالة حسنة . ولم يكن بمصر أحد يتقدَّم عليهم فى صباحة الوجوه . أحدهم من ولد شَبيب ابن رَبعىّ التَّميمى ، والآخر من ولد عطيَّة بن الاسود الخارجى ، والثالث من أولاد الدَّهاقين ، فرآهم أبو نواس ، فأعجبته هيآتهم ، وراقه جمالهم ، فقال فى نفسه : ان أنا لم أعمل الفُرَصَ على الغرض من هؤلاء فلم أعمل بمصر شيئاً ، وان أنا قضيت الغرض منهم فلا خير فى مقامى فى مصر بعد ذلك . فدخلوا يوماً سوق الجداء والحملانِ [1] والرَّيحان ، فاشتروا من ذلك شيئاً كثيراً ، فسأل عنهم وعن خبرهم فأخبر أنهم ورثوا مالا جليلا وقد انفردوا فى غرفة لهم لها رَوْشن [2] يأوون اليها ، ولا ينادمون أحداً ، حذراً على انفسهم ، وشغلا بما هم عليه ، ونفقتهم واسعة ، وأمرهم جميل ، فلا يطمع احدٌ نفسه فيهم . فلما اعيته الحيل فى امرهم ، سمع احدهم يوماً يقول للآخر : اذا كان يوم الاحد اصطبحنا ، فلما سمع ابونواس ذلك ، اشترى جبَّة صوفٍ وكساءً وبهمة وغير ذلك ، وجعل نفسه حمالا ، ولبس

---

(١) الجداء جمع جدى وهو ولد المعزى ، والحملان جمع حمل وهو ولد الشاة

(٢) الروشن الكوه

ذلك القماش ، واخذ ثيابه وجعلها كوزناً على رأسه ، وجلس لهم فى السوق بين الحمالين ، فاذا هم قد اقبلوا ، فاتبعهم الى الموضع الذى يشترون حوائجهم منه ، فخف بين ايديهم ، وتعرض لحملهم ، فقالوا : يا شيخ ! نحن نستحى ان نحمل على مثلك لسنّك ، فقال : انى غريب مضطر ، تؤجرون فىّ ، فحملوا عليه ، فلما صاروا الى المنزل ووضعوا الحمولة عنه ، فرّق كلّ شىء على حدته ورتبه ، وخف الى البيت فكنسه وغسله ونفّضه ونظّفه . ثم نظر الى زجاج لهم فغسله وصيره من جودة الغسل كالجديد الزاهر ، ثم اصلح مكانهم ، وصفّ اوانيهم ، ونضّد ريحانهم . فأعجبوا به جميعاً ! وقالوا له : ياحمال أقم اليوم معنا فاخدمنا ونحن نحسن اليك ، فأقام . فلما تغدّوا ، قام الى شراب مطبق ففتح بُزاله [1] ، ثم سكب منه وسقى القوم ، ولم يزل يسقيهم ويشرب معهم الى أن سكروا وناموا وهم لا يعقلون سكراً ، فقام حين علم أنه قد امكنه مايريد منهم ، فقضى حاجته منهم جميعا ، وترك كل واحد منهم مسطوحا على وجهه محلول السراويل ، والبلل بين فَخِذَيْه ، ثم حلّ سراويله ونام على وجهه وجعل بين فخذيه من بزاقه على مثل حالهم . فلما انتبه أوّلهم نظر الى حاله ، فانّهم أبا نواس ، وقال : هذا عمل الحمّال ، فنظر فاذا ابو نواس ايضاً على مثل حاله ، فأتاه وقال له : قم ياشيخ ، فقام مرتاعا ، وتفازع لما رأى من حاله ، ونبّه الآخرين ، وقال : انظروا ويحكم ! ما هذا ؟ فلم يتهموا غير ابى نواس ، الاّ انهم قد رأوه على مثل حالهم ، فقال بعضهم لبعض : ليس الرأى ان نشيع هذا الأمر ، ولا ان نفضح انفسنا ، فقام كل واحد منهم فاغتسل ، ثم قال لهم أبو نواس : يافتيان ، كلّ واحد منا قد اصبح عَرُوساً ، فاصطبحوا بنا وباكروا اللّذّة كما باكرة العروس واهلها اللذة فقالوا جميعا : صدقت ، فتغدّوْا جميعا ، ثم وضعوا الشراب . فلما دار الشراب

---

(١) البزال بالضم خرق المنزل من الدن وغيره

بينهم ، وتمشى فى رؤوسهم ، ثم قام أبو نواس كانه يقضى حاجة ، فخرج فلبس ثيابه التى من خِلَع الخصيب ورجع ، فلما دخل عليهم من الباب أنكروه وقالوا : ياهذا ! من أنت ؟ فلما دنا منهم وعاد الى موضعه ، قال : أنا الحمَّال الذى صيركم البارحة عرائس ، قالوا : أنت أبو نواس ؟ قال : أنا أبو نواس ، فصفق كل منهم على جبهته وتشاجروا ، فقال لهم : قد وقع الامر الآن موقعه ونحن على الشراب ، فان ساعدتمونى كان عندى أوفق لكم . فشربوا معه على كرْهٍ منهم وحياء ، فلما أمسى انصرف وهو يقول :

وَفِتْيَةٍ فِتنةٍ قد اجْتَمعوا ... مثل الدَّنانير حين تُنْتقَد

ساقَنى الدَّهر نَحوَهم فاذا ... هُمُ يقولون قد دَنَا الأحد

فباكِروا الرَّاحَ فاقطعوه بها ... فُلْتُ للموعد الذى وَعَدُوا

علىَّ إكليلةٌ ومَشملةٌ ... وبَهْمةٌ فى حبالها مَسَدُ

عَمْداً تَنكَّرْت وارتَصدتهم ... حتى أتوا سَحرةً كما اتّعَدوا

فكنتُ أدناهمو مسابقةً ... الى المكان الذى به اتّعدوا

حتى اذا ما اشْتَروا حوائجَهم ... والحاجُ تُزْجَى لهم وترْتَصَدُ

مِلْتُ اليهم فقلت : أحْملها ... فانَّ عندى لحملها العُدَد

حبلٌ وثيقٌ وبَهمةٌ وأنا ... بحَملِها ناهضٌ ومُتّئِد

قالوا : نخذه فأَنتَ أنت له ... سوف نكافيك عند ما تَرِدُ

سِرْتُ وساروا الى مشيَّدة ... فقيل لى: اصعد هناك اذ صَعِدُوا

إذا الأباريق والزُّجاج بها ... يُطْرِبُ فيها المطَرِّب الغَرِدُ

فَثُرْتُ نحو الزُّجاج أغسِله ... حتى تلألأ كأنّه البَرَد

فأعجب المُرْدَ خِفَّتى لهم ... وليس فى خِفَّتى لهم رَشَدُ

قالوا : الا اقعد وهات صَفّ لنا ... وباكر الليل قبل يُفْتَقَدُ

قلعت اذذاك هامةً وضِعَتْ ... على ضئيل كأنه وَتِدُ

فمرَّ يَهوِى كأنه رَجل ... تَشْخَبُ منه الدِّماءُ مُفْتَصِدُ

ما زلت أسقيهم مُشَعْشَعَةً ... يَخْدِرُ من وقع كأسها الجسد

حتىّ رأيت الرُّؤوس مائلةً ... ولم يكن فى رِنابها أوَدُ

واعتُقِلَتْ ألسنٌ وأَلْبِيَة : ... فمسِكٌ رأسَه ومستَنِدُ

قمتُ وبى رِعْدَةً لنيكهم ... وكل من دَبَّ فهو مُرتَعِدُ

فبطأت بى عن لذتى تَكِكٌ ... حتى اذا ما حللْت ما عَقَدُوا

عن خَصر كلِّ تهتزُّ قامته ... كالغصن النضر زانه المِيَدُ

عن كل ردفٍ حَسَرْتُ منتفخ ... أبيض كالورد فيه يَطَّرِدُ

ياليلة بتَّها أخا طَرَبٍ ... قد دام فيها تمتُّعٌ وودد

وليلة بِتُّ أجتنى ، ثمر الا ... ذَّات بين المردان إذ هَجَدُوا

مِنْ ذا إلى ذا وقد قصدت لأن ... أعفج[1] هذا وكلّ من أجِدْ

حتى إذا ما أفاق أوّلهم ... قام وفخذاه بينها خضد[2]

كأنما البيضُ رُضّ بينهما ... فهو ندِىٌّ بجلده أسد[3]

أيقظ اذ ذاك تربه فزعاً : ... أهل تحسّن مثلَ ما أجِد ؟

فقمت من خيفةٍ أنبّههم ... أقول : قد نالكم كما أجِد ؟

أو ذا الذى قد أرى بنا عرق ... أما ترُوه كأنه زبَدُ ؟

فحين أبصرتهم قد انتبهوا ... ذهبت أعدو لحاجةٍ أردُ

حتى اذا المجلس استجدّ بهم ... غافلتهم والكؤوس تطّرد

والصمت والحلم عن كلامهم ... أحسن بى الصبر والجلَدُ

علىّ فوهيّةٌ[4] وأقمصة ... أردية الحوك كلها جُدد

فقيل من أنت ؟ قلت خادمكم ... لا عقل يخشى له ولا قوَدُ

ثم تغنّيتُ وامقاً فرحاً : ... (ياليت سلمى وفتْ بما تعد)

« أبو نواس وابن الصيرفى »

قال ابن أبى خلصة : كان فى سوق يحيى نصرانى صيرفى وله ابن يتحدث عن حسنه أهل بغداد ، ويضرب به المثل فيما بينهم . وكانت دكانه على باب داره

---

(١) عفج جاريته جامعها (٢) الخضد بالتحريك الانزواء

(٣) كذا فى الاصل ولم نهتد الى معناها (٤) فوهية أى حلة مصبوغة

فلم يكن يبرحها ولا يدعه أبوه ينصرف ، ولا يمكنه أن يتجاوز دكانه . فاشتد على أبى نواس ولم يدر كيف يحتال فى أمره ، فعمد الى جُبَّة صوف قصيرة فلبسها ، وسروال قصير ، ونعل رقيق ، وتزيَّا بزى الزُّهَّاد ، وحلق شاربه ، وأخذ شعره ، وسرح لحيته ، وأخذ بيده دفترا ومحبرة ، ثم جاء يمشى بخشوع وتؤدة حتى سلم على الصيرفى ، وقعد على دكانه فيما بين العصر والمغرب ، وأخرج دينارا ودفعه اليه ، وقال له : اعطنى به دراهم ، فرأى الصيرفى فيه سيماء حسنة ، ودثارا ، وزى القراء ، فأعظمه ، ووزن له بقيمة الدينار دراهم فدفعها اليه ، فأخذ ما أعطاه ولم يسأل عن السعر ولا ما كسبه ، وأقبل يسأله عن بغداد وعن سيرة السلطان بها ، ومن يعرف من المحدثين ، كأنه رجل غريب ، وجعل كلما مر مسكين تصدق عليه بالنصف ، والدرهم ، والقطعة . فعظم فى عين الصيرفى . فلما كان المغرب ، قال أبو نواس فى حديثه للصيرفى : ان لى قرابة بغرب الكناس ، وعليه أنزل ، والطريق بعيدة جدا ، فقال له الصيرفى : فلا تتجشم بعد الطريق فى هذا الوقت الضيق ، وبِتْ عندى الليلة ، فاذا أصبحت مضيت مصاحبا السلامة . فشكره وقال : ما أكره ذلك . وكان للصيرفى غرفة على دكانه فأصعده اليها ، وحانت صلاة المغرب فصف أبو نواس قدميه وأقبل على الصلاة ، فجاءه الصيرفى بطعام طيب ، وسأله أن يتحرم به ، فانفتل من صلاته وتناول منه شيئا يسيرا ، وقال : هذا افطارى ، ولا أفطر الا من الليل الى الليل ، وجاء بنبيذ فتنافر منه أبو نواس وقال : لست من أهله ولا ممن يستعمله ، ولا ذقته الا فى أوائل العمر والحداثة ، وحملنى على ذلك حينئذ غِرَّةُ الشباب اذ كان مسكرا ، والسكر حامل على كل معصية ، مذموم عند أهل كل ملة . فأتاه بحلوى فأكل منها ، وقعد النصرانى وابنه وأخوه يشربون ، وأبو نواس يحدثهم بأحاديث الزهاد والنساك والقراء والصالحين ، والسواح على عهد عيسى عليه الصلاة والسلام ، حتى ذهب الليل وكاد الصبح أن يسفر . وعمل النبيذ فيهم ،

وناموا فى الغرفة معه نوما مستثقلا بالسكر والسهر ، فأمهلهم حتى استغرقوا فى النوم ، ثم قام الى الغلام فقضى منه أربه ، فانتبه الغلام فزعا مذعورا ، فلما رأى ما فعل به أقبل يشتمه ويسبه ، ووثب عليه ، فقال : ترفق ياحبيبى فالطيش والحَرَدُ (١) لايشبهانك ، وأنت بحمد الله تعقل ، واشتغل الغلام بالنظر الى ماجرى عليه ، فنزل أبونواس من الغرفة ، وقد مر أوائل الناس فى الطريق وقصد منزله بباب الطاق ، فلما أصبح غير ثيابه ، وحضر باب أسماء بنت المهدى ، وكان يجتمع عنده الشعراء ، فجئت فقعدت الى جانبه ، فحدثنى الحديث ، وقال فى المجون يصف ماجرى له معه :

إذا هَجَعَ النِّيامُ فَخلِّ عنى ... وعَمَّن كان يُحْسِن فى الدَّبِيبِ

فانى عالمٌ فَطِنٌ أريبٌ ... ولا يُخبِرْكَ مثلُ فَتًى أريب

ألذُّ النيك ما كان اُغتصاباً ... بِمَنْعِ الحِبِّ أو مَنْعِ الرَّقِيب

بليت بشادن أحْوَى رشيق ... بَعيدٍ فى مَوَدَّتِه قَريبِ

كأنّ تَعَطُّفَ الاغصانِ منه ... قَضِيبٌ مالَ فى أعْلَى كَثِيب

ظَفِرْت بمِعْقِدِ الزِّنّار منه ... وما ارتابت ظنون المستريب

فَجلتُ بِخِفةٍ فى الردْفِ أجرى ... على ما شِئْتُ من لِينٍ وطيب

فلما اشْتَدَّ للشَّبَقِ اضْطرارى ... ورَفَّعَ من زَلازِلِه قَضيبى

تَنَبَّه حين أمْطره سَحابى ... وأنكر حالَتى ورأى ثُوبى

فقام يَسُبُّنى ويَحُطُّ قَدْرى ... فقلتُ له : تَرَفَّقْ ياحَبيبى !!

---

(١) الحرد هنا معناه الغضب

فعجبت مما يتأتى له ، وقلت له : ان كان لابليس خليفة فى الانس فأنت هو فقال لى : لا تشك ، انا ذلك

وقال فى ذلك أيضا :

ومُنْتبه من نَوْمِه بعد هَجْعَةٍ ... وقد نام أهلُ البَيْتِ دَبّ الى السّاقِ

فأولج فيه مثلَ أسْوَد سالِخ ... أصَمّ من الحَيّات ليس له راقِ

أشَقّ لزِيقِ الإست من حَدّ شفرةٍ ... أنفَذ فى الخُصْيَين من حَدّ مزْراق

فلمّا انْتَحَىٰ فيه تحَرّفَ وانْثَنَىٰ ... وأطرق عند النيك أحسن اطراق

فقلتُ له لمـــا تَوَرّك فوقه ... وأظهرَ أنّ النّوم نَوْمٌ باغْراق :

نَشَدتُك ألا تُلْفِيَنّ مُقصِّرا ... ولا مُشْفِقاً فى غير مَوضع إشفاقِ

أجِدْ عَصْرَ خُصْيَيْه فإنّ سُكُونَه ... سكونٌ فُتًى صَبّ الى النيك مُشْتاق

فلو لم يَكُنْ يقظانَ ما قام أيْرُهُ ... ولالَفّ عند النيك ساقاً الى ساقِ

وقال فى المجون :

ولقد أبيتُ على السّرير مُنَعّما ... ما بينَ غانيةٍ وبين غلامِ

فأنيكها وينيكنى وأنيكه ... التَذُّ من خَلْفٍ ومن قُدّام

وقال فى وصاياه الى أهل الخلاعة :

نادِمِ الغُرّ الكِراما ... وخُذ اللّهْو اصْطِلاَما

لا تُفيـــدن صَلاَةً ... لا ولاَ تَبْغ صِياما

وارْكب الآثامَ حتَّى يبعثُ اللهُ الأناما
فلكَمْ نِكنا بدِينا رٍ قَمَرْناهُ غُلاَما
وشَربنا يَوْمَنا ذا لِكَ بالباقى مُدَاما
وكذا فِعْلى لَعَمرى أبداً كَيْلاَ ألاما
لا تُصَرّف فى حرام أبداً إلا حرَاما
وَتَيَقَّنْ أن عَفْوَ اللـــه لاقٍ ذا الأَنَاما
هل ينال العفو إلا مذنبٌ نال الأثاما

ثم قال :

حَلَفْتُ بَرّا يميناً عَلَىّ حقّا يَقينا
أن لا أكون لانْثَى حتى المماتِ قَرينا
ولا أريد بَنَات ولا أريد بَنِينَا
بَلَى أريد ظُهُوراً ولا أريد بُطُونا
وقد فَطِنْتُ لشىء يَخْفَى على العالمينا
به أنيكُ حَبيبى فى ليلة عشرينا

تم السِّفر الأول ويليه السِّفر الثانى
وفيه تتمة الكتاب

.922

يطلب هذا الكتاب من مكتبة العرب بالفجالة بمصر

ومن مطبعة الاعتماد بشارع حسن الاكبر بمصر

ومن الناشر بدار الكتب المصرية

893.7Ab91 DI
1
Ibn Manẓūr al-Miṣrī
893.7Ab91 DI
1